من الشعوب الإسلامية
في آسيا



تركستان الصينية (الشرقية)

تركستان الغربية
زونغاريا
منغوليا
جبال تيان شان
صحراء تاكلاماكان

محمود شاكر

مؤسسة الرسالة

محمود شاكر

تركستان الصينية (الشرقية)

مؤسسة الرسالة
بيروت

مواطن الشعوب الإسلاميّة

في آسيا

(٢)

مؤسسة الرسالة – بيروت . ص . ب ٧٤٦٠

المقدمة

تركستان منطقة واحدة وإن لم يكن لرابط الأرض عظيم قيمة ، ويسكنها شعب واحد وإن لم يكن للجنس كبير أثر . وصلها المسلمون منذ عهدهم الأول فدانت لهم ، وأقاموا فيها حكم الله ، حتى إذا غلبت عليهم الدنيا ضعف أمرهم ، فغلبتهم التفرقة وهزمتهم الجيوش ، ثم تقاسمتها الدول ، فأخذ الروس قسمها الغربي حتى عرف « باسم تركستان الروسية » ، وسيطرت الصين على جزئها الشرقي فعرف باسم « تركستان الصينية » ، هذا التقسيم على الرغم من أن المنطقة بكاملها تعتقد عقيدة واحدة هي العقيدة الإسلامية ، ويعتبر الشعب عقيدتهم هذه الرابط الأول بينهم دون سائر الروابط ، وهو عنصر وجودها ، وأمل بقائها .

وبعد أن سجلنا بعض المعلومات عن تركستان الغربية كان

لزاماً علينا أن نتمم المنطقة الواحدة فنبحث في القسم الثاني من تركستان في هذه السلسلة التي آلينا على أنفسنا أن نصدرها لتعريف المسلمين بمناطقهم ، وأوضاع أخوانهم القائمة ، وما يعانون من مشاكل .

وإذا لم تكن هذه الدراسة مستفيضة فذلك لرغبتي الخاصة في أن تكون على شكل رسائل صغيرة ، يستطيع القارىء أن يطلع عليها بشكل سريع ، ويأخذ منها ما يريد ، فإن أيقظت من نفسه الشعور بضرورة الاطلاع على أوضاع المسلمين بشكل واسع فعليه أن يعود إلى المراجع الواسعة وما كتب عن كل منطقة بالتفصيل ، ومن اكتفى بذلك فأعتقد أن هذا مختصر مفيد ، إضافة إلى أن الوقت قد أصبح يضيق عن القراءة إما لكثرة الفراغ المشغول بالفراغ ، وإما لضيق الوقت لملئه التام بالعمل والجهد ، علماً بأن شعبنا يجهل الجهل التام كل ما يتصل بالشعوب الاسلامية ، وهذا الجهل ناتج عن التخطيط الأجنبي الذي جعل كل شعب يحصر نفسه في منطقته، يدعي القومية ، وينادي بالعصبية ، وينفصل عن كل ما يحيط به ، ويشغل نفسه بالمشاكل أوجدها له الدخلاء ، ونتيجة البعد عن الإسلام . إضافة إلى أن هذه المنطقة قد عزلت عنا بالستار الحديدي ، فمنعت عنا اخبارها ، وقطعت عن شعبها أنباؤنا حتى كدنا ننسى هذه المناطق كلياً وننسى تاريخها المتصل بتاريخنا ، وكدنا نعتبرها جزءاً من الدولة المسيطرة عليها ،

وهذا ما تريد تلك الدولة ، وما يريده الاستعمار لنا، ونكون قد وقعنا في شرك المستعمرين من حيث لا ندري ، ثم إن الجاهل بالمنطقة يكفيه أن يعرف الشيء اليسير عنهـــا وهذا ما نيسره له ، حتى إذا أخذ بالمبدأ الاسلامي ، فإنه يضطر للاستزادة ، فنرجو أن يقيض الله له من يسلك طريق التوسع والزيادة والله نسأل التوفيق .

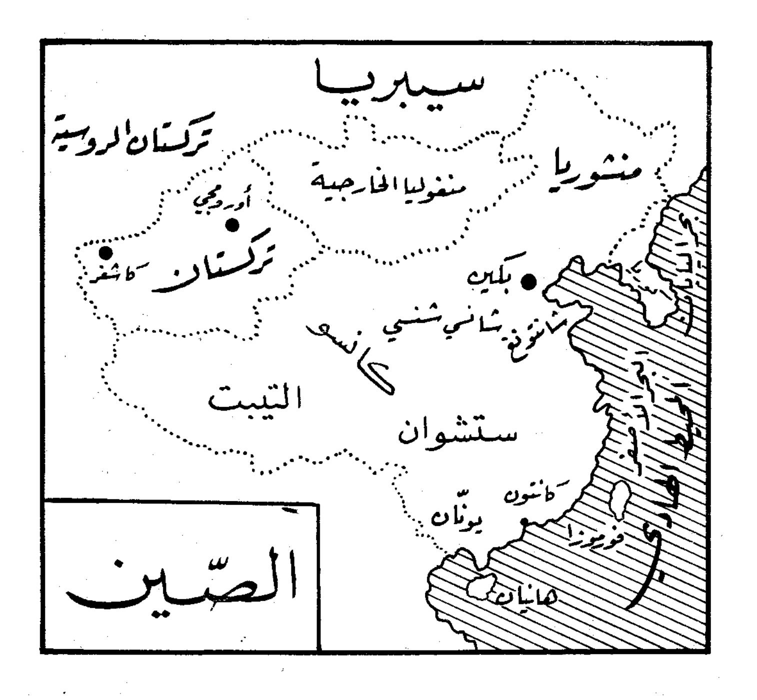
مَعَالِم وَخطُوط

يجد سكان السهول عناء في ارتقاء الجبال ، ويلاقي قاطنو المناطق الباردة مشقة في سكنى البقاع الحارة ، ويخاف أهل البوادي ركوب البحر ، ويصعب على المرء حياة لم يألفها وعيشة لم يحيها ، فشديد على المرء ما لم يعود، ولكن الصعاب تذلل ، والمشقة تزول ، والعناء يخف على قدر الهمة ، ونبل الغاية وشرف المقصد ، ولم يعرف التاريخ غاية أنبل ولا مقصداً أشرف من غاية المؤمنين ومقصد أصحاب العقيدة ، كما لم يعرف همة أعلى من همة المسلمين الأوائل .

خرج العرب المسلمون من جزيرتهم الفسيحة الواسعة ومنطقتهم اللاهبة ، وانساحوا إلى كل الجهات يرفعون راية الإيمان ، ويرفضون العبودية إلا لله ، وينادون بالتحرر من عبودية العبيد وعبودية الشهوة والهوى ، لم يقف أمام تحقيق

غايتهم شم الجبال وصعوبة المناخ وطول الطريق وبعد السفر .

فبعد أن فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٥ هـ ووصلوا إلى حدودها الشرقية ، إلى سفوح تلك الجبال الشاهقة السامقة ، أعلى جبال العالم هناك حيث تنتصب هضبة بامير التي تسمى سقف العالم وجبال تيان شان وغيرها من المرتفعات الشامخة تلك الحواجز المنيعة والحدود الطبيعية ، لم تحل دون تقدمهم ، ولم تقف أمام هدفهم ومقصدهم ما داموا لا ينظرون إلى الأرض ، ولا يفكرون إلا في الجنة ، ولا ينتظرون النصر إلا من الله . فلو كانت غايتهم السلب والنهب أو الفتح والقتل أو الاحتلال والاستعمار لثقلت بهم الخيل ، وحطت بهم الهمة وفترت فيهم العزيمة . ولو كانت غايتهم الوصول إلى أماكن منيعة تقيهم شر الجوار ، وتدفع عنهم خطر الأعداء لكانت هذه الحدود أفضل ما أوجدته قدرة الله ، ولكانت الفتوحات قد توقفت عند أقدامها ، واكتفت بما سجلته من انتصارات ، وكما اجتاز المسلمون هذه الموانع في المشرق كذلك اجتازوها في المغرب ، فركبوا البحر الذي حال بينهم وبين أوربا وسكانها ، ولكنه الايمان الذي دفعهم إلى أن يتجشموا المخاطر ، ويركبوا المخاوف غير مبالين . ولو كانت غايتهم المال والمغانم لما وصلوا في الأصل إلى تلك الأمصار النائية والأقاليم البعيدة ، ولاقتصر زحفهم على المناطق الخصبة والأرجاء الغنية ، ولابتعدوا عن الصحارى


سيبريا
تركستان الروسية
منشوريا
منغوليا الخارجية
أورومجي
تركستان
كاشغر
بكين
شانسي
شنسي
كانسو
التيبت
ستشوان
كانتون
يونّان
فورموزا
هاينان
الصّين

المجدبة والأجزاء الماحلة والقفار الواسعة والتي كانت في الواقع تشهد أكثر معاركهم وتقدم جيوشهم وتحركاتها وهي لا تنتج إلا الشوك ولا تنبت إلا القتـاد . ولو كانت غايتهم السيطرة لاكتفوا باحتلال المراكز الهامة والمواقع الاستراتيجية خاصة وأن جندهم قليل وعددهم ضئيل ولكان عملهم عمل أوائل المستعمرين . ولكن غايتهم كانت اعلاء كلمة الله ونشر العقيدة وإخراج النـاس من الظلمات إلى النور ، فكان كلما آمن فوج انخرط أبناؤه في صفوف المسلمين الغزاة يحملون راية القرآن حتى انتشر الاسلام .

اندفع المسلمون في تلك الجبال ، واجتازوا قممها، ونشروا الإسلام في ربوعهـا ، ولم يلووا أثناء تقدمهم على شيء ، ولم يفكروا فيما وراءهم . لم يفكروا بأرضهم ولم يرتبطوا بترابهم ، ولم يخافوا على أهليهم من بعدهم حيث وليهم الله ، فلو فكروا لأضاعوا النصر وخسروا المعركة ، وعادوا إلى الموطن الذي ارتبطوا به ينتظرون الغزاة لتستذلهم ، وتطأ ديارهم، وتجوس خيول أعدائهم أرضهم . ولقد طلب المسلمون الموت فوهبت لهم الحياة ، وسادوا الدنيـا عندما طلبوا النصر من السماء . وعندما ارتبطوا بالأرض وأخلدوا إليهـا أضاعوا أرضهم ، وأذلهم الله حتى سلط عليهم شذاذ الآفاق « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » .

انحدر المسلمون على السفوح الشرقية لتلك الجبال يرفعون راية الإسلام وينشرونه بين السكان الترك . وفتح قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة كاشغر عام ٩٦ هـ - ٧١٤ م ، وقد جاءه وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك وهو فيها،فتوقفت الفتوحات آنذاك ، وخاصة أن الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك قد غضب على قادة أخيه الوليد لموافقتهم له بتعيين ابنه من بعده بدلاً من أخيه ولي العهد ، فاستدعاهم واقتص منهم جميعاً ما عدا أخيه مسلمة .

وقد راسل قتيبة من مدينة كاشغر ملك الصين ، وأرسل إليه وفداً جعل عليه هبيرة بن الشمرج الكلابي ، فلما كلمهم ملك الصين قال لهم : « قولوا لقتيبة ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه» ، فقال له هبيرة : « وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون[1] ؟ ، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه » . وقد دفع ملك الصين أتاوة

(١) منابت الزيتون : المناطق التي تصلح لنمو أشجار الزيتون ، ويقصد بها هنا منطقة البحر الأبيض المتوسط المختصة بهذه الزراعة ، ولا يصلح مناخ غيرها له .

للمسلمين ، ولم يغزوا بلاده ، حيث شغلتهم أحداثهم الداخلية ، وتوقفت الفتوحات ، وكان الاسلام قد عم تركستان الشرقية التي تقع ضمن الصين اليوم ، وتعرف باسم سينكيانغ ، والتي تعتبر كاشغر من أشهر مدنها وحواضرها .

اضطهد الأمويون الشيعة من أتباع زيد [1] بعد خروجه عليهم واستشهاده عام ١٢٢ هـ ثم خروج ابنه يحيى من بعده الذي وجد نفس مصير أبيه ، فلجأت طائفة منهم إلى الصين فارةً بعقيدتها ، واستقرت هناك ، ونشرت الإسلام في تلك الربوع ، وأدرك الأمويون منذ ذاك الوقت أن الظلم لا يمكن أن يجلب إليهم خيراً ، فالقوة والشدة لا يمكن أن تغير شيئاً من رأي الناس بهم ، فكيف بهم يريدون تغيير العقيدة ؟ ، وكثيراً ما يخفي السكوت عن الباطل دخان الثورة التي لا تلبث أن تضطرم ، وتلتهب النار الظالم وأهله ، وإن كان كثير من الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها يسكتون عن غير الحق يرضيهم ما ينالونه ويسيرون في إذعان مثل القطيع وراء كل

---

(١) زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، تتبعه فرقة خاصة من الشيعة ، لا تختلف كثيراً عن أهل السنة ، فهي تعترف بصحة خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما دام لم يخرج عليهما علي رضي الله عنه ، وتعتبر الجهاد ركناً سادساً من أركان الاسلام ، وإلى زيد هذا ينتسب الزيديون في اليمن .

زعيم ، ولكن أصحاب العقيدة لا يمكنهم ذلك ، فضعافهم يفضلون الهجرة والعمل في دارهم الجديدة ، ومتوسطوهم يصبرون ويسكتون ، يعملون ما أمكنهم العمل حتى تقوى شوكتهم ، وأقوياؤهم لا يزالون قائمين على الحق لا يخشون فيه لومة لائم ، ولا يضرهم من ضل ، ولا يخافون بطش ظالم ، وعناد مستكبر ، وبأس جبار .

توقف انتشار الإسلام الواسع بتوقف الفتوحات الكبرى ، واضطراب النظام الداخلي وكثرة الأحداث ، ولكن إذا كان قد توقف انتشار الاسلام والعمل له عن طريق الجيوش والغزوات فإن العمل له لم يمت من قلوب المسلمين ، ولم يضعف من نفوس المؤمنين ، ففضل كثير منهم العمل بشكل شخصي والتفرغ للدعوة في سبيل الله والانزواء عن الميدان السياسي والابتعاد عن الأحداث في داخل البلاد راغبين في الثواب والأجر في هداية البشر ، وقد روي عن رسول الله ﷺ « لئن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » . فركبوا البحر يتخذون من التجارة مجالاً لنشر الاسلام ووصلوا إلى ميناء كانتون أهم موانىء الصين الجنوبية وإلى بقية مرافىء الصين ، وعاملوا سكان البلاد الذين أحبوهم ، ووجدوا فيهم سلوكاً لم يعتادوا معرفة مثله ، ورأوا منهم تجاراً لم يألفوهم ، فاعتنق بعضهم الاسلام حباً بهؤلاء التجار ،

وانتشر الاسلام عن هذا الطريق أيضاً ، وهكذا فالأخلاق هي الصفة التي يقترن بها المسلم ، وحسن المعاملة والصدق هي السمة البارزة له ، وقد أحب ملوك الصين هذه النماذج الجديدة من البشر ، ورغبوا فيهم ، وأولوهم العناية والرعاية ، فقد روى أحد الرحالة وهو الشريف حسن بن الجلال السمرقندي من العجائب أن ملك الصين مع كفره ، كان في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة ، وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد الكفار مسلماً قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم ، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل به وإنما يطلب بديته ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

وبما أن التجار المسلمين هناك كانوا يسكنون في بلاد الكفار ، فكانوا إذا قدم عليهم مسلم فرحوا به أشد الفرح ، ويقولون جاء من أرض الاسلام ، ويدفعون له زكاة أموالهم ، فيعود غنياً كواحد منهم .

وكان التجار المسلمون ينالون ثقة كبيرة من الشعب لذلك حسنت حالهم المادية وكانوا من الأغنياء ، وسكان الصين أعداد كبيرة تضيق بهم الأرض ، ولا تكفيهم زراعتهم وأعمالهم ، وتحل بهم النكبات ، وتصيبهم النوائب ، ويضطر كثير منهم إلى بيع أبنائهم ، فكان المسلمون يشترونهم ، ويربونهم على الإسلام ، ويعتبرونهم أبناء لهم تقرباً إلى الله رغم أن الرقيق هو السائد في ذلك العصر .

اعتقد الصينيون أن المسلمين قد ضعفت قوتهم ، واضمحلت شوكتهم ، وذهب ريحهم نتيجة الاختلافات الداخلية ، فقد قامت الدولة العباسية ، ودالت دولة بني أمية ، فتقدم جيش صيني نحو الغرب في عام ١٣٤ هـ ٧٥١ م ، فأسرع المسلمون وهزموا ذلك الجيش الصيني ، وطردوه من تركستان، وهكذا تبددت آمال الصينيين، وأيقنوا أن الفئات الحاكمة إن اختلفت مع بعضها وتنازعت ، فإن الشعب قادر على الصمود ، يجاهد في سبيل الله ، وأن الحكام وإن شرعوا للناس حسب أهوائهم وشهواتهم فإن الشعب المسلم يرفض إلا شريعـــة الله ، وبعد هذه الهزيمة ضعف مركز ملك الصين وكان يسمى «سوتسونغ» فثار عليه التتار بزعامة الكوشان وذلك في ١٤٠ هـ - ٧٥٦م، فاستنجد ملك الصين بأبي جعفر المنصور ، فأنجده بكتيبة مؤلفة من ٤٠٠٠ جندي قضت على الثورة ، وأعادت لملك الصين السطوة . وقد يتساءل بعضهم ما هي الفائدة التي يجنيها المسلمون من هذه النجدة ؟ إن ممـا لا شك فيه أن من مصلحة المسلمين أن تكون على حدودهم دولة متداعية لهم فضل حمايتها، وهذا الفضل يجعل انتشار الاسلام سهلاً حيث لا تقف أمامه الدولة ، وهو دين الفطرة فتتقبله النفوس ، وتعتنقه القلوب ، وهذا خير من أن تقوم دولة جديدة تستنهض الشعب لقتـال المسلمين وتحارب دينهم . واستقر أكثر جند هـــذه الكتيبة هناك ، وتزوجوا من نساء صينيات ، فعُرفوا على حقيقتهم ،

وعرف واقع دينهم ، فتقبل كثير من الصينيين هـــذا الدين واعتنقوه ، وتناسل المسلمون بسرعة أكثر من الصينيين حتى تكاثروا ، وزاد عددهم ، وأصبح لهم وزن في الحياة العامة ، فقد ثاروا في مدينة كانتون عام ١٤٢ هـ - ٧٥٨م على الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم ، فاستطاعوا أن ينـالوا حقهم ، ويأخذوا مطالبهم . هـــذه الزيادة في عدد المسلمين دفعت بالمتعصبين من الوثنيين أن يقاوموا المسلمين ، ولمـــا لم تستطع الحكومات أن تؤمن مطالب هؤلاء المتطرفين قام أحد الثوار من المتعصبين يقاتل المسلمين ، وقد أفنى منهم ما يقارب مائة ألف مسلم وذلك في عام ٢٦٦ هـ - ٨٧٩ م .

وفي أيام جنكيز خان استطاع أن يصل إلى حكم منطقة يونان رجل مسلم يعرف باسم السيد الأجل فحكم المنطقة بالعدل ، وانتشر فيها الإسلام ، ومات السيد الأجل ٦٧٨هـ-١٢٧٩م ، وبقيت اسرته وأحفاده أصحاب مركز إلى القرن العشرين ، لما كان للسيد الأجل من فضل على المنطقة وتقدير الشعب له .

وبعد جنكيز خان تولى الملك ابنه اوجداي خان ، وكان قائداً ماهراً ، ولكنه توفي فجأة عام ٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م ، وقام نزاع على وراثة العهد ، وأخيراً استولى على العرش مانجو خان عام ٦٤٩ هـ - ١٢٥١م فولى أخاه قبلاي خان امبراطوراً

على الصين ، وسير أخاه الثاني هولاكو ليغزو غرب آسيا ، وكان هذا عدواً مبيناً للاسلام .

وقد استعمل قبلاي خان عدداً من العمال المسلمين في منطقة يونان ، لما عرف عن العمال المسلمين من اخلاص في العمل ، واتقان في الصنعة ، فالعامل المسلم مثال النزاهة والتضحية ، فهو يعمل بجد ، ويأخذ أجره بحق ، ويحاسب نفسه ، ولهذا كانت البضائع الاسلامية تفوق كل مثيلاتها . وقد استقر هؤلاء العمال في منطقة يونان ، كما شجعوا المسلمين على الهجرة إلى تلك المنطقة .

أسلم الاويغور[1] وهم سكان منطقة كانسو ، فلما أسلموا أسلم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جغطاي[2] ، وأضحى المغول من المسلمين الذين يعملون لنشر الدين ، وكانت الصين مقسمة إلى تسعة أجزاء يحكم كلاً منها خان نيابة عن الخان الأعظم وهو ملك المغول . وقد استطاع الصينيون طرد المغول عام ٧٧٠ هـ – ١٣٦٨ م ، وأثناء طردهم قتلوا أعداداً كبيرة منهم ، ومع ذلك فقد بقي الإسلام ينتشر بين

---

(١) الاويغور : القبيلة التي انحدر منها جنكيز خان .

(٢) جغطاي : هو الابن الثاني لجنكيز خان وقد جعله على منطقة تركستان والاويغور بينما كان ابنه اوجداي ولي عهده .

سكان الصين ، وقد ساعد على هـــذا الانتشار أن المسلمين لم ينتقدوا مبادىء المعلم الصيني كونفوشيوس، فتجنب هذا النقد حماهم من الاصطدام المباشر مع أتبـاعه الذين يمثلون القسم الأعظم من السكان ، وعلى هذا فالدعوة تكون بتبيان المبادىء وعرضها بشكل سليم وصحيح دون نقد غيرهـــا ، لأن هذا النقد لا يؤدي إلا الى قيام رد فعل من قبل أصحاب المبادىء الأخرى ولو كانت هزيلة وسطحية ، حيث كثيراً ما يتعصب الناس لمبادئهم عن غير علم .

واستمرت الدعوة للاسلام حتى غدا الحكم للأسرة المانشورية التي استمرت سيطرتها أكثر من ثلاثة قرون (١٠٥٤-١٣٢٩) هـ - (١٦٤٤-١٩١١) م ، فقد اضطهدت هذه الأسرة المسلمين وسامتهم سوء العذاب ، فصادرت أملاكهم ، وأخـــذت أموالهم ، وانتهكت حرماتهم ، مما جعل الثورات تندلع في كل مكان من قبل المسلمين . ولما أعيت الحيلة الحكام في الحصول على النصر حيث لا تغلب العقيدة بالسيف لجأوا الى الدسائس بين المسلمين حيث فرقوا صفوفهم وأخمدوا ثوراتهم . وأخيراً استتب لهم الأمر ، وسنتكلم عن أهم هذه الثورات عندمـــا نتكلم عن مناطق تجمع المسلمين في الصين .

عِبرة وتاريخ

انبلج نور الاسلام ، فأضاء الجزيرة العربية ، وحمله المسلمون إلى الدول الكبرى المتاخمة لها ، للقضاء على الظلم فيها ، وأسرع الفرس والرومان الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم ، وخافوا من امتداد الإسلام ، فبدأوا ينشرون الدعاية المغرضة والآراء المضللة ليقف العالم كتلة واحدة في وجه هذه الدعوة الجديدة التي ظهرت من الجزيرة العربية ، فأعلنوا أن حكومة عسكرية قد قامت في بلاد العرب ، وبدأت في السيطرة على ما جاورها والانسياح نحو جيرانها ، والقصد معروف من هذا الادعاء ، ولكن هذه الدعاية لم تُجدِ نفعاً لأصحابها ومروجيها فلم تلبث أن زالت دولة الفرس ، ودانت أكثر أجزاء الدولة الرومانية للاسلام وغدت رقعة من أرضه ، ثم لم يلبث الإسلام أن طرق أبواب الصين ، فزاد خوف الرومان من أن يعم الدين الجديد المشرق ، ويتم القضاء

على البقية الباقية من دولة الروم ، وخاصة بعد تبادل البعثات بين المسلمين والصين .

أرض الصين واسعة يقيم فيها الكثير من السكان حتى ليقربوا من ربع سكان العالم في كل عصر ، هذا العدد الكبير ، والانتشار الواسع للاسلام بينهم جعل أوروبا تخشى أن يعم الاسلام الصين — كما خاف الفرس والروم من قبل — فبعد الحروب الصليبية التي شنتها أوربا على أرض الاسلام أيقن الصليبيون أنهم لا قبل لهم بالمسلمين ، وكانت أوربا بعد ذلك في فترة توسع وانتشار ، وكان أكثر ما يرهبها الاصطدام بالمسلمين الذين يعلنون الجهاد المقدس، فيقاتل المسلمون مندفعين بقوة الإيمان التي لا تقف أمامها قوة معنوية أو مادية ، لهذا حرصت أوربا للعمل على وقوف انتشار الاسلام في الصين ، وسعت بكل جهدها لهدم الاسلام ومبادئه من الداخل ، فعمدت إلى نشر النظريات الغريبة والأفكار النظرية وإدخالها في مناهج التعليم ، وكان العالم الاسلامي يمر في مرحلة من الضعف والتخلف ، ويريد النهوض من كبوته بالاستفادة مما في الغرب ، لذلك انتشرت بين أبنائه الأفكار المسمومة ، ومن ناحية أخرى عملت أوربا للتفريق بين صفوف المسلمين في كل مصر من الأمصار .

شجعت أوروبا المسلمين في الصين على الثورات ، فقامت

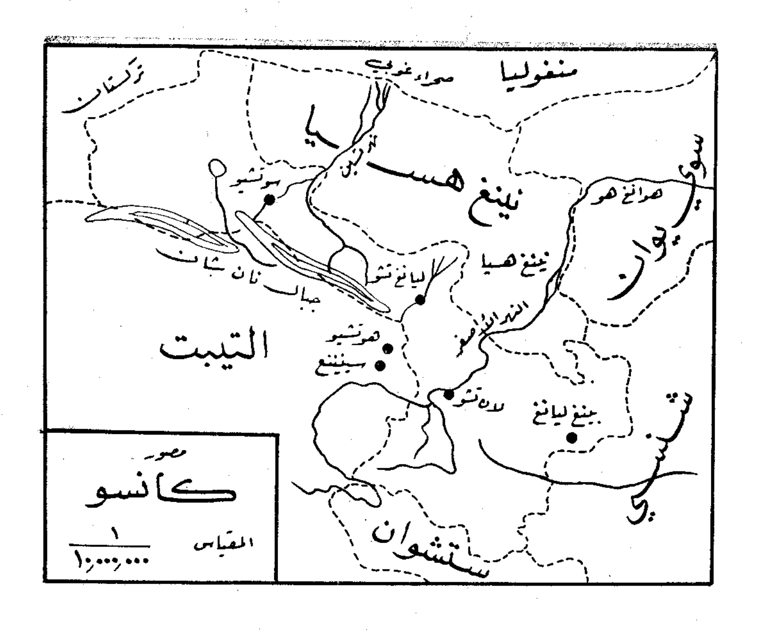
ثورة في كل ناحية من النواحي بمكرٍ صليبي عمل أيضاً على تحريض الأسرة الحاكمة في الصين للقضاء على المسلمين ، وشن حرب إبادة تامة لهم ، ولما لم تنجح في كثير من الأحيان عملت على توظيف عدد من المسلمين الذين يعتقدون أن النفع والمال بيد السلطان ، وأعطت بعضهم الآخر أموراً ادارية ممن يغريهم المنصب ويبهرهم المركز، وهذا ما جعل المسلمين تتفرق كلمتهم ، وينقسم صفهم ، فيقف بعضهم بجانب الحكومة ، والآخر بجانب أعدائها ، ويصطدم بعضهم مع بعض ، وكانت الكلمة في النهاية لأعدائهم الذين استطاعوا أن يقضوا على الثورات الواحدة تلو الأخرى ، فذهبت ريح المسلمين ، وارتفعت ريح غيرهم ، وقد راق هذا الفعل أوربا وظنت أنها تخلصت من المعادين لها في الشرق الأقصى ، وأنها قد انتصرت عليهم ، وخلا لها الجو من كل منافسة هناك ، ولكنها لم تستطع أن تقطف ثمرة عملها هذه كاملة ، فلم يمض وقت كبير حتى اشتعلت الثورة الشيوعية ، وسيطرت على كل البلاد ، وقامت تحارب الغرب وهذا ما أقضى مضاجعه وذلك بسبب العدد الهائل كما ذكرنا ، وإن كانت لا تزال تشعر بشيء من نشوة النصر ، لأن خوفها من الاسلام وعداءها له لا يقاس بغيره .

تركستان الصينية (الشرقية)

تتمم تركستان الغربية « الروسية » وحدودها معها خط توزيع المياه ، وتعتبر منطقة قارية تماماً ، فهي أبعد مكان في العالم عن البحر ، كما تحجزها الجبال العالية أيضاً ، فجبال هيمالايا الشاهقة تمنع وصول أثر المحيط الهندي إليها وتبعد عنه مسافة ١٩٣٠ كم ، ولذلك فالحرارة شديدة صيفاً والبرودة شديدة شتاء ، وتتألف تركستان الشرقية من خمس مناطق :

١ – جبال آلتاي :

وهي في الشمال تفصل تركستان عن منغولية ، ويقع القسم الأعظم منها في منغولية ، وكانت موضع نزاع من أجل الحدود ، يصل ارتفاعها إلى ٤٠٦٠ م ويكون اتجاهها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، ومن سفوحها الجنوبية


منغوليا
صحراء غوبي
تركستان
نينغ هسيا
سوتشو
جبال نان شان
ليانغ تشو
نينغ هسيا
هوانغ هو
سوي يوان
النهر الأصفر
التيبت
سيننغ
لان تشو
جينغ ليانغ
شنسي
ستشوان
مصور
كانسو
المقياس
١
١٠,٠٠٠,٠٠٠

ينبع نهر ارتيش ويجري نحو الغرب ويدخل تركستان الغربية ثم الأراضي الروسية لينتهي في المحيط المتجمد الشمالي .

٢ – حوض زونغارية :

يقع بين جبال آلتاي في الشمال وجبال تيان شان في الجنوب ، وفيه ممرات نحو تركستان الغربية ، وتفيض المياه في أحواض داخلية وأهم هذه المجاري المائية نهر ماناس ، وتتجمع مياهه من السفوح الشمالية لجبال تيان شان ، ويصب في بحيرة تيلي نور، بينما القسم الشرقي صحراوي تماماً ، والمناخ في حوض زونغارية قاسي ومع ذلك يسمح بزراعة الحبوب والفاكهة عدا التين والعنب .

٣ -- جبال تيان شان :

جبال شاهقة يقع معظمها في تركستان الغربية ، ويصل ارتفاعها إلى ٧١٥٨ م ونظراً لهذا الارتفاع فإن الجليد الدائم يغطي قممها ، ويشكل الثلاجات الدائمة .

٤ – صحراء تاكلاماكان :

كما يطلق عليها اسم حوض تاريم ، وهي صحراء واسعة تصل مساحتها إلى ٦٤٧٫٢٢٠ كم٢ ، وهي أكثر الصحاري جفافاً في العالم ، تنعدم فيها الأمطار تقريباً ، ويختفي النبات،

وتستحيل الحياة عدا بعض الواحات عند مخارج الأودية ، والسفر عبر هذه الصحراء صعب ، فمعـــالم الطرق متغيرة وسلوكها شاق ، وكثيراً مايهوي المرء في مهاويها ، ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله ١٥٠٠ كم وتسمح له غزارته باجتياز هذه الصحراء ، ويتشكل نهر تاريم من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال الغربية والمجاورة ومن جداول صغيرة تقوم عليها المدن بارقند وكاشغر واقصو وغيرهـــا وأحياناً تتبخر المياه في الجداول قبل أن تصل إلى النهر ، ويصيب نهر تاريم أخيراً في بحيرة لوب نور في الشرق .

ويمكن أن نلحق بصحراء تاكلاماكان منخفض طرفان الذي تحيط به الجبال ، فتمنع عنه الرطوبة ، وتنعدم الحياة إلا في واحة طرفان ، وينخفضْ عن سطح البحر ٢٧٨ م.

٥ – جبال التين تاغ :

وتعزل التيبت عن تركستان، ويصل ارتفاعها إلى٦٠٠٠م.

والأمطار قليلة في تركستان الشرقية ، وإذا هطلت فهي نتيجة التبخر المحلي ، ويهطل في أوروجي ٢٢٥ مم بينما ينزل في يارقند ١٥٠ مم .

الحياة الاقتصادية

إن لأقنية الري في هذه المنطقة الجافة أهمية كبيرة ، وإن الخرائب والأطلال التي تنتشر في كل مكان تشير إلى اعمار زراعي سابق يرتكز على تكاثف بشري كبير يوم كان للاسلام دولة ، ولكن التقلبات السياسية وعدم الاستقرار والمسؤولية والتفكير في مصلحة المسلمين كل هذه الأمور قلبت الماضي الزاهر إلى حاضر أليم .

ويسود في البلاد اسلوبان للزراعة : الزراعة البعلية ولا تشكل إلا جزءاً ضئيلاً من مجموعة الأراضي الزراعية ، وتقوم في المناطق التي تتلقى من الأمطار ما يكفي لزرع مزروعات قليلة ، وتعتبر زونغارية أهم منطقة للزراعة البعلية حيث تحتل فيها ما يعادل ١٥٪ من المساحة العامة المزروعة وأهم المزروعات البعلية الحبوب وخاصة القمح . والزراعة المروية وهي الشائعة

في تركستان الشرقية رغم جهد السكان الدائب للحصول على الماء ، وأن الغيوم التي تتلبد في سماء البلاد بصورة استثنائية ، تضر بالزراعة ضرراً بالغاً حيث تحجب أشعة الشمس فتؤخر اذابة الثلوج المتراكمة على قمم الجبال ، وإذا ما علمنا ان معظم أنهار وجداول تركستان ذات تغذية ثلجية ، تفيض عند ذوبان الثلوج ، أدركنا مدى الأذى الذي يلحق بالزراعــــه من شح الأنهار نتيجة تأخر ذوبان الثلوج .

ويعتبر القمح أهم المزروعـــات وهو شتوي في زونغارية وربيعي في حوض تاريم ، ثم الذرة وقد أدخلت زراعتها عام ١٥٥٠ م من قبل الحجاج أثناء زيارتهم لبلاد العرب . ثم هناك الرز والشعير ، وتبلغ المساحـــة المزروعة بالحبوب ١ ٪ من المساحة العامة .

ثم هناك القطن ويزرع منذ زمن بعيد ، ويجود في المنطقة الجنوبية .

التبـــغ : وتقوم زراعته على السفوح المنخفضة .

الفاكهة : وتزرع في المنحدرات الجبلية وضفاف الأنهار وفي الواحات وتشتهر واحة طرفان بالثمار وخاصة العنب ، ويجود البطيخ الأصفر في واحة حامي .

وتوجد الأعشاب في السفوح الجبلية المعرضة للرطوبة ، والبدوي ينتقل طيلة أيام السنة طلباً للماء والتجاعاً للكلأ ،

وفي فصل الصيف يرتاد الرعاة الجبال حيث تذوب الثلوج وتنمو المروج ، وأهم الحيوانات الأغنام والماعز وحيوان الياك وتربى في السفوح الجبلية ، بينما يعتنى بتربية الأبقار في الواحات ، والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء .

ورغم أن الدراسات الجيولوجية لا تزال ضئيلة فإن تدل على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري وبالأخص شمال كولدجا ، وكميات من البترول كائنة في الحوض الشمالي من تيان شان وخاصة حول أوروومجي ثم التنغستين والرصاص والتوتياء وهناك الصودا والملح .

وكانت الصناعة بسيطة تؤمن الحاجات المنزلية والزراعية ، وكان القطن يرسل إلى شنغهاي حيث يضع هناك ، ثم تقدمت الصناعة واستخرجت كميات من الثروة الباطنية ، وأهم مراكز استخراج الفحم في أوربومجي العاصمة ، كذلك تقدمت الصناعة النسيجيه .

وتعتبر تركستان منطقة تجارية بالدرجة الأولى بسبب موقعها الاستراتيجي بين سيبيريا ومنغوليا والصين والتيبت والهند وكشمير ، وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب ، فرغم الإطار الجبلي الذي يحيط بتركستان الشرقية فهناك ممرات عديدة ، فبوابة زونغارية الانهداميه التي لا يزيد ارتفاعها عن ٣١٨ م ، وطريق الحرير المعروف ، كما أن السكك الحديديةقد وصلت بين الصين وسيبيريا عبر تركستان .

الحياة البشرية

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ١٫٧١٠٫٧٤٥ كم ٢ أي أكبر من مساحة ليبيا وتساوي ما يقارب عشرة أمثال مساحة الجمهورية العربية السورية . ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، فالكثافة قليلة لا تزيد عن خمسة أشخاص في الكيلو متر المربع الواحد ، وليست قلة الكثافة هذه نتيجة ضيق الأرض الزراعية فحسب وإنما الى الأحداث التي مرت على البلاد ، والنكبات السياسية التي اجتاحتها ، فقلبت العهد الزاهر يوم كان الاسلام يحكم تلك الأرجاء إلى أطلال وخرائب وإن كان قد تضاعف عدد السكان في الفترة الأخيرة حسب الجدول التالي :

العام	عدد السكان
١٩٤٥	٣،٨٧٠،٩٥٤ نسمة
١٩٥٣	٦،٠٠٠،٠٠٠ نسمة
١٩٦١	٧،٣٥٠،٠٠٠ نسمة
١٩٦٧	٨،٠٠٠،٠٠٠ نسمة

وهذه الزيادة ناتجة عن زيادة المواليد الكبيرة لدى المسلمين، وهذا شيء ملحوظ في أكثر البلدان الاسلامية ، ثم إلى تحسن مستوى المعيشة، وارتفاع المستوى الصحي ، وتدفق المهاجرين الذين أتوا لاستعمار البلاد .

وسكان تركستان لا ينتمون إلى جنس واحد ، فقد جعلها موقعها التجاري عرضة لمرور أجناس كثيرة ، ولدخول أقوام عديدة ، تأتي للسيطرة عليها والمحافظة على الطرق التجارية ، أو تعمل في التجارة ثم تستقر فيها ، أو فراراً من مناطقها ، وأهم هذه الأجناس :

الأويغور : ويشكلون ٨٠ ٪ من السكان ، ويسكنون النصف الجنوبي من تركستان .

الكازاق : ويشكلون ٩ ٪ من السكان .

صينيون : ويشكلون ٥ ٪ من السكان .

القيرغيز والاوزبك : وقد قدموا من تركستان الغربية «الروسية» عندما بدأ الروس يسيطرون على بلادهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولم تكن تركستان الشرقية قد وقعت بعد في قبضة الصين بشكل نهائي .

المغول : وقد دخلوا البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي.

الهوي : وهم من أصل عربي وينتسبون إلى العرب المسلمين الفاتحين الذين قدموا مع قتيبة بن مسلم الباهلي .

الروس : الذين فروا إليها مؤخراً .

يبني السكان منازلهم من الآجر المشوي، أو الطين المخلوط بالقش ، وتسند هذه المادة هياكل خشبية ، وتمتاز البيوت بأنها ضيقة ، وتتكاثف إلى بعضها ، شأنها في ذلك شأن كل العمران القديم وخاصة المناطق التي يقل فيها الأمن ، وتتعرض البيوت لمداهمة اللصوص ، إضافة إلى أن سكان الواحات هم في حالة تعرض دائم لسكان المناطق الصحراوية المجاورة لها، وهجماتهم ، ولكن بدأت تظهر الأبنية الحديثة إلى جانب القديمة .

واللباس السائد هو القميص الطويل ، والسراويل ، وكلها مصنوعة من القطن الملون ، وهذا النوع من اللباس هو الشعبي، بينما يلبس الأغنياء الحرير والفرو والأقمشة الأجنبية .

انتشرت اللغة العربيـــة بعد الفتح مع انتشار الاسلام ، وأصبحت الرسمية والوحيدة ، وعندما ضعفت الخلافة العربية الاسلامية عمت الفارسية ، ثم سادت التركية ، ويتكلم السكان اليوم اللغة التركية ، أما الكتب الدينية فأكثرها بالعربية ، وتليها الفارسية ، وهذا شأن كل البلاد الاسلامية يريد سكانها التعرف على اللغة العربية ولكنهم لا يجدون سبيلاً إلى ذلك ، فالعلماء في تركستان يعرفون العربية وبعضهم يعرف الفارسية بجانبها ، وبعضهم يفهمون العربية إذا خاطبهم الانسان ولكنهم لا يستطيعون التعبير .

ويمارس السكان الزراعة وتربية الماشية ، وإن كنا نستطيع الآن أن نضيف نمطاً آخراً للحياة هو ممارستهم الصناعة .

ويدين أكثر من ٧٥ ٪ من السكان بالاسلام ، وهم جل السكان الأصليين ، أما السكان الوافدين ، فقد احتفظ كل بديانته التي قدم بهـا ، وقبل القرن الحالي كان أغلب الذين يهاجرون إلى تركستان يعتنقون الاسلام بعد فترة إن لم يكونوا من المسلمين ، أما الآن فقد انقطع الدخول في الاسلام الذي توقف انتشاره أيضاً ، بل لم يعد للدين أي مركز ، حتى كاد يمحى من الحيـاة الاجتماعية وانطمست معالمه ومظاهره ، فالحرب تشن عليه وعلى دعاته ، ويحارب بكل وسيـلة ،

وتوضع المخططات لذلك والمناهج ، أما من القلوب فالله أعلم بالسرائر ، والقلوب حصون تبقى عامرة بالايمان ولا يمكن أن يزول منها بسهولة ، حتى إذا عمل الإيمـان عمله عاد الحق إلى أصحابه في البلاد .

يعيش سكان تركستان في واحات تقع على مجاري الأودية في سهل زونغارية وحوض تاريم وأهم هذه الواحات :

اوروجي : وهي عاصمة تركستان وتقع في جنوب سهل زونغارية وقد أضحى اسمها اليوم تيهوا .

كاشغر : تقع على رافد صغير لنهر تاريم ، وقد فتحهـا قتيبة بن مسلم الباهلي وكانت مركز المنطقة وتسمى اليوم شوفو ويبلغ سكانها ٧٠ ألف نسمة .

يارقند : في حوض تاريم الأعلى ، ويبلغ عدد سكانهـا ما يقارب ٣٠٠ ألف نسمة وتسمى اليوم سوجي .

خوتان : وتقع على رافد كبير لنهر تاريم ، وسكانهـا اليوم ١٠٠ ألف نسمة وتسمى اليوم هوتين .

اقصو : ويبلغ عدد سكانهـا ٤٠ ألف نسمة وتقع في الغرب وتسمى اليوم ونسوه . ثم هناك واحة طرفان، وواحة

حامي في أقصى الشمال الشرقي ، ويطلق عليهـــا اليوم اسم كومول .

ومن الملاحظ أن المدن قـــد تغيرت أسماؤها ، لينقطع حاضرها عن ماضيهـــا الإسلامي الزاهر ، وكذلك فالتاريخ لا يدرس إلا اعتباراً من القرن الحالي ، وينسب للماضي كل صفات السوء من جهل وفساد واختلال لنظام الأمن ، وانتشار للخرافات ، والعقائد الباطلة التي صنعتها البورجوازية واطلق عليها اسم الدين .

بيان وتوضيح

تطلع الصينيون إلى حكم تركستان منـــذ القديم لكثرتهم حتى كادت أرضهم تضيق بهم على رحبها وسعتهـا في حين أن تركستان وهي تجاورهم فقيرة السكان قليلة الموارد ، ولكنها في الوقت نفسه ذات مركز تجاري مهم . فقد حكمتها اسرة هان الصينية منذ عـام ٢٠٠ قبل الميلاد ، ولم يكن الحكم الصيني هـــذا مستمراً ، كما لم يعمل لاعمار البلاد كما فعل في منشوريا ، وإنمــا كان الصينيون تجاراً يقيمون في الواحات ويشرفون علىالطرق الرئيسية . وهكذا كان الاستعمار آنذاك يكتفي بتأسيس مراكز له يسيطر منها على ما يريد ، وكانت الزعامة والسيطرة هي التي تحتل المركز الأول في المجتمعات ، وكانت متطلبات الحياة بسيطة ، فحكمت الصين تركستان ولا تبغي من ذلك الهيمنة والتعـالي ، فأقامت في المراكز

الاستراتيجية ، وأخذت الأتاوة من القوافل والضرائب من الشعب،وعاش الصينيون حياة العزة والكبرياء حاكمين مترفعين وأغنياء موسرين .

ثم وصل العرب المسلمون إلى تركستان ، وشع النور فيها، وعمروها أحسن اعمـار ، وتركزت دعائم الحضارة ، فخيم الأمن ، وساد العدل ، وعاش السكان في بحبوحة من العيش الرغيد والرخاء لا يعادلها حياة اخرى في الدنيـا ، وأخيراً ضعف الحكم بسبب الخلافات التي ذرت قرنها في المجتمع ، والعصبيات التي وجدت ، ثم قامت الأعمال الانفصالية وخاصة في شرق الخلافة .

كل ذلك عندما غلبت عليهم الدنيـــا ، واستبدت بهم الأطماع ، فما غلبت الدنيـا على قوم إلا فرقتهم ، وما تفرق مجتمع إلا انصرف أفراده إلى بعضهم يتقاتلون ، وما تقاتل أبناء شعب إلا أذلهم عدوهم ، وقهرهم خصمهم .

ثم جاء المغول ، وحكموا البلاد ، وأخيراً عـاد الصينيون للسيطرة على تركستان ولكنهم في هذه المرة بدأوا يستولون على البـــلاد جزءاً جزءا ، فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت إشرافهم ومراقبتهم ، كما تسللوا إلى الحياة الاقتصادية من صناعة وتجارة وزراعة في جميع أرجاء المصر ، لأنهم لم يستطيعوا في

هذه الفترة القبض على زمـام الأمر باحتفاظهم بمراكز قليلة ، فقد دان السكان بالاسلام ، وأصبحت لهم شخصية متميزة ، وما امتاز انسان بشخصه إلا وكانت له الكرامة ، والكريم يرفض الذل والعبودية،ويطلب العزة والاستعلاء ، وما امتازت دولة بشخصيتها إلا وكانت لها المنعة والقوة والغلبة .

وقد أدركت الصين أن هؤلاء القوم غير ما كانوا بالأمس ، فقد قلبهم الاسلام من أناس يقبلون الذل والخضوع ، ويرضون بالأجنبي والخنوع إلى أناس يرفضون الاستعمار والعبوديـــة ، ويرفضون الوصاية والواقع الأليم وحكم الدخيل وهذه وظيفـة الاسلام، كما أدركت الصين ان السيطرة عليهم توجب الإشراف على كل مرافق الحياة ، وتوجيه كل أجهزة الدولة ، وليتمكن الصينيون من الاستمرار في الحكم عمدوا إلى إضعاف شخصية التركستانيين وذلك بابعاد الاسلام عن النفوس ثم جعلهم يرتبطون معهم في نظام اقتصادي واحد ومعركة سياسية واحدة،وبذلك تضمحل شخصيتهم ويقبلون الذل ، فيمكن هذا للصين في الحكم ، ولكن ذلك لم يتم بشكل سهل ، ولم يحدث بلا مقاومة ، فقد قامت ثورات كبيرة ، واريقت دماء كريمة ، وسقط شهداء بررة في سبيل المحافظة على الشخصية الاسلامية وتميزها عن غيرها في الاقتصاد والسياسه والحكم ، فما ارتبط شعب بغيره إلا اضمحل كيانه ، وأصبح ملحقاً بغيره لا قيمة

له بين الشعوب ، وما سار مجتمع في ركب سواه إلا ذابت شخصيته ، وانعدم مركزه، وأضحى تابعاً لغيره من المجتمعات تحركه بيدها، وتسيره حسب اشارتها وعندئذ يصل إلى مرحلة الموت تعلوه كل العلائم التي تشير إليهـــا وإن كثر الصياح ، وقوي الكلام ، فقد يتحرك الجسم ، ويغلظ الصوت في اللحظات التي تسبق زهوق الروح :

ضعاف الأسد أكثرها زئيراً

وأصرمهـــا اللواتي لا تزير

سار الاستعمار في جميع بلاد الاسلام على هذه الطريق، فقد ابتدأ الاستعمار البرتغالي بتأسيس مراكز له على السواحل ، واكتفى بذلك ، ومنها كان يشرف على الداخل ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في عمله هذا ، بل كانت تهب عليه العواصف التي تثيرها يقظة المسلمين فتلقي به في البحر بعيداً عن مواقعه. ثم خلف هذا الاستعمار البرتغالي استعمار أشد دهـاء وأكثر مكراً وتخطيطاً ، كالاستعمار الانكليزي الذي أدرك ما وقع فيه البرتغاليون ، وعرف حقيقة الأمر ، وأيقن أن الاسلام وراء كل قوة، فخطط للسيطرة على كل مصر بشكل تام وإبعاد الاسلام عن الحياة ، وبذلك تكون شخصية البلاد قد تلاشت واضمحل كيانها ، وعندها يستطيع أن يعطي البلاد ما يسميه

الاستقلال ، ويسحب قواته العسكرية من أرضهـــا ، حيث لا داعي لوجودها ، فهو يستطيع أن يوجه البلاد بالأفكار ، أو يشرف على الحكم بواسطة العملاء والأنصار ، أو عن طريق الدعايات للمعركة الواحدة والسياسة المشتركة والعدو الواحد والنظام المشترك والسلام العالمي وما الى ذلك من كلمات انتقاها لتبقى البلاد في قبضته ولا تخرج عن ارادته ، خيراتها بيده ، وآراؤها بقلمه .

قامت الثورات في تركستان ضد الحكم الصيني ، واستمرت أكثر من مائة عام ١٧٥٨ ـ ١٨٧٣ ، قامت على شكل طفرات بلغ مجموعها خمس ، كانت تقوم في كل مرة عدة ثورات ، وفي عام ١٨٧٤ استطاعت حكومة الصين الاستيلاء على سلطنة كاشغر ، وتمكنت من أن يتربع كابوس حكمها على السكان ، ويمتد نفوذها على الاقتصاد .

نهجٌ وسبيلٌ

قام المسلمون بثوراتهم في الصين بعد أن لاحظوا أن كيانهم مهدد بالزوال ونفوذهم سائر نحو الاضمحلال، وشخصيتهم معرضة للضياع إذا استمروا على ما هم عليه من الضعف والقبول بالخضوع لغيرهم وسيطرته حيث لا يستطيعون أن يكونوا أمة واحدة مع غيرهم من أهل الصين فهم يختلفون معهم في مفهومهم عن الحيـــاة وتصوراتهم وأنظمتهم واعتباراتهم ومقاييسهم، ولكنهم يكونون أمة واحدة مع بقية المسلمين أينما كانوا وتختلف عن بني جنسهم من الصينيين غير المسلمين، لأن الأمة ليست أرضاً يعيش عليها السكان ويستثمرونها ويرتبطون بهـا، فقد يعيش الانسان مع جيرانه على أبشع صورة من الاختـــلاف والتباعد إذا كانت أفكارهم غير متجانسة وآراؤهم غير متفقة حتى ليبحث الجار عن الوسيلة التي يتخلص فيهـــا من جاره

والطريقة التي يبتعد فيهـا عنه ، وكم يعاف الناس أرضهم ويهجرونها عندما يختلفون مع قومهم في الفكرة ويتباينون في العقيدة ، كما أن الأمة ليست جماعة كانت في التاريخ ذات أمجاد وحضارة فكم من أمة انبعثت حديثاً وارتفعت لأول مرة حتى وصلت إلى أعلى الذرا ولم تقم على أمجاد ولم تعتز بماض ، بل تعتبر ماضيها جاهلية وغابرها تأخر وتناحر ، فالشيوعيون يعتبرون بداية امتهم منذ قامت ثورتهم وطبقت أنظمتهم. والمسلمون يعتبرون ميلاد الأمة الاسلامية منذ عهد الرسول ﷺ ، وتاريخنا من رسول الله مبدؤه وما عداه فلا عز لنا ولا مجد ، كما ان الأمة لتنقطع عن ماضيها عندما تتخلى عن عقيدتها ، فالمسلمون عندما يتركون عقيدتهم فإنهم ينقطعون عن ماضيهم الزاهر بل لا يحق لهم التفاخر بذلك التاريخ لأنه لم يقم إلا على العقيدة وكذا العرب لأنهم في تاريخهم المجيد كانوا يقومون على العقيدة الاسلامية . فالأمة ارتباط في القلوب واتحاد في الأفكار وانسجام في التصور واتفاق في العقيدة وتأييد للنظام ، أفرادها يصدرون عن مقاييس واحدة يقيسون بها مفهوم الأخلاق والحشمة والفضيلة والصلاح والحرية والعدالة والأمانة والنظرة الى القانون . إذ لا يعقل أن تتكون أمة من جماعة يرى بعضها ان الأخلاق عفة في اللسان وطهر في النفس واستقامة في المعاملة ، وستر للجسم وابتعاد عن الخمر وبعد عن الاختلاط ، وتحريم للسفور وصيانة للكرامة ويرى البعض

الآخر أن كل ذلك ليس من الأخلاق في شيء ولا يدخل في قائمة الحساب ويكفي أن يعمل الرجل بجد ونشاط. ولا يمكن أن تتكون أمة من جماعة يرى بعضها أن الإيمان رمز للأخلاق والاستقامة والتقدم والاخلاص ويراه الآخر من دواعي التأخر والضعف والسلبية والانهزامية . ولا يعقل أن تتكون امة من جماعة يختلف عناصرها كل الاختلاف .

ولا يمكن أن تتكون أمة من مجتمع يرى بعضه أن الناس سواسية كأسنان المشط وهم في نظر القانون دون تمييز « فوالله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ، وينال المواطن المنصب حسب كفاءته وقدراته دون النظر إلى أي اعتبار بينما يقرب البعض الآخر الصديق ويستثني من لا معارف له ، وينال المنافق المركز ، ويحظى المداهن بالمنصب، ويطبق القانون على أناس دون آخرين .

اكتشف المسلمون في الصين شخصيتهم ورأوا أن بامكانهم أن يكونوا شخصية مستقلة وأمة واحدة دون بقية الصينيين ، وأن هذه الشخصية تفقد مقوماتهم تدريجياً لسيطرة غيرهم عليهم بمفاهيم غريبة عنهم . وهذا طريق الثورة وبمثله تنهض الأمم وتحيا الشعوب فالغاية نبيلة والقصد شريف والدعوة حق والثورة واجبة وغير هذا باطل وتعنت، ولكن المسلمين فشلوا في ثورتهم ، واندحروا في وثبتهم ، وليس الفشل دليل الخطأ

كما أن الانحدار ليس دليل عدم التصميم ، ولكنه الامتحان والتربية والتعليم والبلوى ، وانتقاء الشهداء واختيار أهل الجنة ، وتثبيت المؤمنين، وتمييز الذين في قلوبهم زيغ والدرس لكل ناهض ، والعبرة لكل ثائر ، ليتجنب الخطأ ، ويتجاوز العقبات ولا يبالي مهما تعثر، فكم فشل أناس على حق،وهزمت جيوش وغايتها دفع الظلم ورد الحق إلى أهله « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين».

وقد لام كتاب كثيرون ومؤرخون ثورة مسلمي الصين لأنها أضعفتهم، فقد فقدوا فيها أكثر من ربع عددهم، ومزقت شملهم ، وأخرتهم عن الركب وعن مجاراة أبناء جلدتهم الصينيين،ولكنها كانت بالواقع الأمر الذي لا بد منه للمحافظة على الشخصية المتميزة والإبقاء على الكيان ، فالثورات لا تبالي بالضحايا ، ولا تنظر دعوة الحق إلى ما تخسره أثناء الطريق ، فالدرب وعر شائك محفوف بالمكاره ولكنه لا بد من الوصول، فمن لا يخطىء لا يصيب ، ومن لا يعثر لا ينهض ، وإنما الذي يؤخذ على تلك الثورات انها لم تعد للأمر عدته الكاملة ، ولم تأخذ لها كافة الاستعدادات ولم توقت كل المقاطعات لثوراتها الزمن معاً فكانت كل مقاطعة ثورة ، فإذا اخمدت في اقليم اندلعت في اقليم آخر مما سهل على العدو النصر ، كما أن الإيمان لم يكن المحرك لها في جميع المعارك لتعلو الهمة وترتفع المعنوية

ويكون العمل خالصاً لله ، هذا وان صفوف الثورة لم تنظف من الذين يطلبون الدنيا بدينهم فهم في كل معركة سبب الهزيمة وبلاء المسلمين وإن لبسوا زي العلماء وأظهروا التقى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، كما أن الانسجـــام لم يكن قوياً بين الثائرين ، وفكرة التمييز لم تكن واضحة تماح الوضوح عند جميع الواثبين ، فحدث ما حـــدث ، ولكن في ذلك الدرس والعبرة لجميع السائرين على الدرب الثائرين على الظـلم والطغيان .

كانت الأسرة المنشورية قد حكمت الصين منذ عام ١٦٤٤م حتى قيام الجمهورية الصينية عام ١٩١١ م ، وقد سامت هذه الأسرة المسلمين سوء العذاب فأقامت المذابح الجماعيـــة ، واغتصبت الأملاك ،وشردت الأهالي وسبت النساء والذراري ، وقد كانت هذه الأعمال تتكرر بين الحين والآخر ، وكلمـــا رأت من المسلمين بادرة حملتها على سوء الظن أنزلت بهم النكبات ، وقد كانت تحذرهم وتخشى منهم الثورة والاستقلال ، وهذا ما حدا بالمسلمين أن ينتهزوا كل فرصة ليقوموا بانتفاضة علهم يتخلصون من هذا الحكم الجائر والجور القائم ، وكانت أهم هذه الانتفاضات التي اندلعت في تركستان الثورة التي تعرف باسم ثورة جنقغ عام ١٨٢٥ م وقد استمرت عامين كاملين ، ثم ثورة يعقوب بك ومقره مدينة كاشغر ، وكان المحرك العقلي

لها هو الزعيم الديني باي ين هو ، وقد بدأت هذه الثورة عام ١٨٥٥ م ، وكتب لها النصر ، واعلنت تركستان دولة مستقلة سلطانهـا يعقوب بك ، واستمرت ثلاث عشره سنة ، . وظن المسلمون هناك أنهم قد حصلوا على الاستقلال ، واستقر لهم الوضع ، فخلد بعضهم إلى الراحة ، ولم ينتبهوا الى انهم جزء من امة فإذا لم يهبوا الى نصرة امتهم فإن الضربة ستوجه اليهم ، والطعنة تنالهم بالذات ، فلم ينفروا لمساعدة اخوانهم المسلمين في بقية الأجزاء من البر الصيني حيث كانت الثورة قائمة في كانسو وشنسي بقيادة ماهوالونغ ، ونتيجة لهذه الانهزامية فان القوات الصينية استطاعت أن تقضي على تلك الثورة عام ١٨٧٢ م وتفتك بالمسلمين وتنزل بهم الويلات ، وبعد عامين من القتل والذبح والتشريد في صفوف المسلمين سيطرت الصين على كانسو وشنسي وعندها جاء دور تركستان فزحف عام١٨٧٤م جيشان من الصين أحدهمـا بقيادة ليوكين تانغ والثاني بقيادة كين شوان ، وقصدا مركز الزعيم الديني باي ين هو ، وهاجما كاشغر ، فانهزم الزعيم الديني إلى أرض الروس ، وقتل سلطان البلاد يعقوب بك ، وتحددت حدود تركستان من الشمال والجنوب ، ونصبت الصين ليوكين تانغ والياً على كاشغر ، وبعد أن أخمدت الثورة في كافة أنحاء البلاد أخذت الدولة الصينية بيدهـا أمر الادارة ، وجعلت على كل من مدن تركستان الكبيرة مفوضاً امبراطورياً وقائداً عسكرياً . وقـــد أخذ المسلمون من هذا

درساً هو أن العداء المستحكم ليس موجهاً لمصر من الأمصار أو فرد من الأفراد أو رئيس دون الآخرين وإنما للاسلام ومن يحمل لواءه ، وأن الأعداء عندما يدخلون أرضاً يقطنهـا المسلمون ، أو يحكمون بلاداً سكانهـا من المسلمين فإن الأذى لا يصيب جماعة معينة وإنما يصيب الجميع، فعلى جميع المسلمين أن ينهضوا نهضة واحدة ويثبوا وثبة رجل واحد في وجه كل استعمار ووجه كل طاغية جبار وإن تباطؤوا بالقيام بهذا حل بهم الدمار ، ونالهم الأذى والهوان ، فإن الحقد على الاسلام وأهله من أعدائه لا يمكن أن يوصف .

وشهدت البلاد انتفاضات اسلامية عـام ١٩٣٢ م كآخر رمق ، واستمرت الثورة مدة خمسة أعوام كاملة استطـاع الحاكم الصيني شان شي تسان القضاء عليهـا وتوطيد حكمه بعد أن حصل على مساعدة الروس التامـة والذين بقيت قواتهم بجانب القوات الصينية فترة غير قصيرة .

انسحب الروس من البلاد عام ١٩٤٣ بعد أن أخذوا معهم جميع المنشآت الاقتصادية التي أقاموها في تركستان أثناء وجودهم فيهـا . وفي عام ١٩٤٩ م أعلنت حكومة الصين الشعبية التي استلمت حكم البلاد بعد الثورة الشيوعية فيهـا ،

أعلنت أن تركستان دولة تتمتع باستقلال ذاتي وأصبح السيد سيف الدين هو رئيس الدولة وذلك في عام ١٩٥٣م ، وعرفت البلاد منذ تلك الفترة باسم « سينكيانغ » ووصلت مع الصين بخط حديدي عام ١٩٥٨ م .

المسلمون في الصين

وليست تركستان الشرقية المنطقة الاسلامية الوحيدة في الصين اليوم وإنما هناك مناطق أخرى ، ومسلمون ينتشرون في كل أجزاء الصين .

يتوزع المسلمون في الصين في كافة المقاطعات ، وإن كانت نسبتهم تختلف بين ولاية وأخرى ، فهناك مناطق يغلب عليها الاسلام وأجزاء يندر فيها أتباعه ، هذا التوزع ناتج عن الطرق العديدة التي انتشر فيها الاسلام في تلك الأرجاء، وعن أهداف الحكومات الصينية المتعاقبة . والرغبة عند المسلمين قائمة ليجتمعوا في منطقة واحدة لإقامة حكومة اسلامية .

فدخول الاسلام إلى الصين عن طريق التجارة البحرية جعلهم يتوزعون في المناطق الساحلية وخاصة في المراكز

الكبرى مثل كانتون وشانغهاي ومدن شانتونغ ، حيث لم يكن التجار المسلمون ليحملوا البضائع فقط وإنما كانوا يحملون الدعوة ، ولم تكن غايتهم الأرباح المادية فحسب وإنما كانت الغاية في نشر الاسلام هي التي تحدوهم لركوب المخاطر وتحمل أعباء السفر وامتطاء أطول الطرق وأخطر المراكب آنذاك ، بل إن الكثير منهم اتخذ من التجارة وسيلة لنشر الدعوة ومجالاً لايصال الإسلام إلى تلك الأقوام الوثنية البعيدة عنه والبدائية في عقيدتها .

ودخول الاسلام إلى المناطق الصينية الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية وتنقل الدعاة في تلك الفيافي يبتغون الأجر ويرجون الفضل من الله ، ولم يكن تنقل الدعاة في جهة واحدة وإنما في جميع الجهات فكان انتشار الاسلام يماشي سير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم . ولم يكن الدعاة من الفقهاء والعلماء فقط وإنما من الذين دخلوا في الاسلام حديثاً أيضاً يريدون الخير والتعويض عما افتقدوه أثناء جاهليتهم قبل اعتناقهم الاسلام واتباعه فكرة وعقيدة . ولو كانت وراءهم دولة تخطط لهم وتعينهم على ذلك وتزيد عدد الداعين للاسلام لعم النور الصين بأكملها .

أما في المناطق الغربية من الصين فقد كثر المسلمون نتيجة

القرب من المناطق الاسلامية ، واتصالها مع تلك الأمصار التي فتحها المسلمون أيام فتوحاتهم الواسعة التي كانت نتيجة لتطبيق التعاليم والمناهج الاسلامية ، وجواراً لاولئك الرجال الذين كانت حياتهم صورة حية عن المجتمع الاسلامي .

كما أن في غرب الصين فيافٍ واسعـــة وصحارى شاسعة تعيش فيها قبائل وتسكنها أقوام تعتمد على العصبية ، وتقوم حياتها على القبلية ، وكان من ميزات هذه القبلية أن دخلت قبيلة الأويغور في دين الله بأغلبيتها عندما اعتنق زعماؤهـا الاسلام .

ويمكن أن نضيف أسباباً اخرى لهذا التوزع وهو أن حكام الصين كانوا يخشون من رعاياهم المسلمين ويحذرونهم ويعلمون رغبتهم في تجمعهم لتكوين أمـــة واقامة حكومة مستقلة تأخذ بتعاليم دينهم ، والعقيدة وحدها هي التي تحملهم على تكوين أمةٍ واحدةٍ مختلفةٍ عن غيرها متميزةٍ بشخصيتها وأفكارها ، لذلك عمد الحكام إلى توزيعهم في مختلف أجزاء ذلك البر الصيني الواسع بشتى الطرق كالتوظيف والنقل ... تارة بالإقناع واخرى بالإكراه والإجبـــار ، أحياناً بطرق مشروعة عادية وأحياناً بطرق لا تمت إلى القانون بصلة ، وإذا كان بعض الحكام يظهرون الثقة والإحسان فإن الواقع يشير إلى أنها كلها طرق قد خطط لهـا وأن غايتها توزيع المسلمين

وبعثرتهم ، وهكذا يظهر أن كل عمل لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا إذا خطط وهيء له كافة سبل النجاح ، فلو خطط لدعاة الاسلام هناك لساد هذا الدين الصين، ولو كانت حكومة من وراء ذلك لما وجد غير المسلمين في ذلك الشرق البعيد . وكذا الدعوة الآن وخاصة في افريقيا تسير ببطء لأنه ليس من ورائها من يخطط لها ويسعى لدعمها ، والدول العربية في افريقيا بدلاً من أن تهتم بهذا الأمر ، وترصد له الاعتمادات اللازمه ، وتوفر له الامكانيات المطلوبة ، نراها تبذل الكثير في سبيل التخطيط للايقاع بين الاخوة والاشقاء ، وقتل الدعاة ، وزج الأحرار في السجون ، والنيل من المخلصين ، ومساعدة الخصوم ، ومناصرة الأعداء والمستعمرين وأصحاب الغايات في بلادنا ، والمساومة على الحركة الاسلامية يوماً للشرق ويوماً للغرب ، على حين نجد التبشير يلعب دوراً واسعاً لما يلقاه من تأييد الدول الاوربية له ، وهي تعمل من ورائه لأغراض دينية وسياسية تأخذ مظهر الاقتصاد أحياناً وملامح السيطرة والنفوذ أحياناً أخرى .

ولم تكن التعاليم الاسلامية لتطبق كاملة في الصين بل شابتها رواسب من الجاهلية، وبقيت آثار الماضي سائدة، لأن الاسلام وصل إلى الصين في وقت كانت الخلافات مستحكمة في بلاد الاسلام ، فلم تكن هناك القدوة الحسنة في الحكم ، كما لم تكن

هنـــاك حكومة تعمل على نشر الدعوة ، وتساعد على تهيئة الوسائل اللازمة لها، وتجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله. وكذلك فإن اللغتين الصينية والتركية هما اللتان كانتا سائدتين وهــذا ما جعل اللغة العربية قليلة وقراءة الكتب ضعيفة لأن اللغـة العربية قد توقف انتشارهـا بتوقف انتشار الاسلام ، لذلك كانت دراسة مصادر التشريع الاسلامي قليلة الحظ ، ولم تؤد الغرض المطلوب ، هذا بالإضافة إلى أن انتشار الاسلام كان يتم في بعض الأحيان على أيدي بعض الدعاة الذين لم يمض على إسلامهم فترة طويلة ، أو يتم بسبب اسلام قبيلة بكاملهـا ، وهذا ما سبق أن ألمحنا إليه . لهذه الأسباب كلها كانت التعاليم الإسلامية غير مطبقةٍ بكاملها وبقيت عادات جاهلية متبعة كأن توضع قدما الفتاة وتقيد في قالب حتى تبقى صغيرة حيث يعتبر هذا من أنواع الجمال عندهم ، وبقيت هذه العادة متبعة حتى عـام ١٩١١ م حيث منعت رسمياً . كذلك بقيت عادة احترام الآباء والأجداد حيث يحفظون شجرات الانساب في البيوتات ويقدسون الأجداد كسائر أهل الصين .

وبقـاء العادات الجاهلية يخالف طبيعة الاسلام التي تقضي بأن يترك الرجل منذ أن يدخل في الاسلام سائر العادات والتقاليد التي تسود في المجتمع، ويعتبر نفسه في مرحلة جديدة من حياته ، انقطع فيها عن كل ماضيه وحياته التي عاشها قبل

الاسلام ، ويتنصل من كل ما فعله في جاهليته ، ويصمم على أن لا يقوم بعمل إلا إذا كان ينبع من الاسلام .

يكثر المسلمون في الصين في مقاطعات كانسو ويونان وهونان وشانتونغ وهابي إضافة إلى تركستان التي معظم سكانها من المسلمين ، والتي ليست هي من الصين الأصلية ، والتي سبق أن أفردنا لها بحثاً خاصاً ، وليس معنى هذا أن بقية المقاطعات تخلو من المسلمين فهناك جماعات كبيرة في مقاطعات شنسي وستشوان ، كما لا تخلو ولاية من أعداد منهم .

والمسلمون في الصين أهل همة عالية فنراهم يعملون في التجارة وأهم مراكزهم شنغهاي حيث يعملون في تجارة الجواهر والأحجار الكريمة ، أما في المدن عند سور الصين فيعملون في تجارة الفراء والأصواف والخيل والمواشي ، وفي يونّان يعملون في تجارة الرز والفحوم ، كذلك ينخرط المسلمون في الجيش الصيني ، وهم محبوبون من قبل الطوائف الاخرى ، وعلى وفاق مع أبناء وطنهم حتى ليعتبروا في رأس الوطنيين . ويعتنون بالنظافة التي تميزهم عن سائر أهل البلاد .

ومن عادة مسلمي الصين الزواج بالصينيات يرغبون في ذلك لعل الله يشرح صدور زوجاتهن للاسلام . كما جرت العادة قديماً أن يشتروا أولاد الصينيين ويربونهم على الاسلام ، وفي

ثورة البوكر التي جرت عام ١٩٠٠ م والتي قتل فيها ألوف من المسيحيين ، ونهبت أموالهم ، وبيعت نساؤهم، فاشترى مسلمو نينغ هسيا عدداً كبيراً منهم ، وبعدهـا صار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الاسلام وذاقوا حلاوة الايمان .

ولغة المسلمين في الصين هي اللغة الصينية وكذا كتابتهم ، وإن كانت لهجتهم فيهـا بعض الاختلاف حيث يعرف الصيني المسلم من الوثني، ويعيب بعضهم دراسة الصينية لأنهم يعتبرونها لغة الكفرة ، ويعتبرون العربية لغة الكتاب والسنة ، وعلى كل مسلم أن يدرسها ويقدسها وهذا ما حدا ببعضهم أن يبتعد عن دراسة اللغـة الرسمية فأضحوا جاهلين ممـا أبعدهم عن الوظائف .

وفي كل مسجد مدرسة دينية أولية يدرس فيها الأطفـال الأحرف العربية وبعض السور القصيرة ، وكذا العبادات ، كما أن هناك مدارس خاصة بالمسلمين تدرس العربيـة والصرف والنحو .

وليس للمسلمين هنـاك رئاسة دينية ، ويحب المسلمون أن يقال لهم « باي شان » أي أصحاب العمائم البيض ، وتظهر هناك بعض السحنات العربية والتركية .

وبالمناسبة لا بد أن نوضح أن انتشار لغة أمة دليل تقدم الأمة وحيويتها ، وتكون اللغة المساعد الرئيسي لنشر أفكار الأمة وأهدافها وآرائها، ومعبراً عن رغباتها ومراميها وصدقها في أعمالهـا ، وكسب تأييدها ، ومناصرة لقضاياها ، لذلك تسعى الدول لنشر لغتها بكل وسائلها مستخدمة نفوذهـا لذلك ، وأن نشر اللغة العربية عملية سهلة بين المسلمين في جميع أصقاع العـالم فما علينا إلا أن نتخذ الوسائل لذلك ، كما أن العمل لنشر الاسلام هو عمل لنشر العربية وقد رأينـا أن انتشار اللغة العربية قد ساير انتشار الاسلام في جميع أدوار التاريخ .

كانسو

ليست التقسيمات الادارية القائمة في الصين تعتمد على أمورٍ طبيعية أو نواحٍ اقتصادية أو توزيع بشري وهي التي تؤخذ بعين الاعتبار عادة أثناء التقسيم الاداري ، ولكن الأمر الذي يسترعي الانتباه أن تقسيمات الصين وخاصة المناطق الغربية منها حيث يكثر المسلمون تأخذ بالدرجة الأولى القضايا السياسية وتهتم قبل كل شيء بتوزيع المسلمين ، فأثناء بحثنا نضطر أن ندرج أسماء بعض المدن التي لا توجد في هذه المقاطعة ولكن في مقاطعة أخرى حيث لعبت السياسة دورها فاجتزأتها من منطقتها الأصلية لتضعها في منطقة أخرى ليكون فيها المسلمون منعزلين عما حولهم وأقلية ، أو أن اقليماً قسم إلى اقليمين لنفس الغرض ، ومع هذا نضطر إلى بحث المقاطعة حسب التقسيم الاداري القائم مع الاشارة الى ما يرتبط بها وما يتعلق فيها .

كانسو ولاية على شكل مستطيل يمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي بين صحراء غوبي من جهة والمرتفعات الشاهقة من جهة أخرى والتي تتألف من هضبة التيبت العالية وجبال نان شان الشاهقة الشامخة ، وهي بهذا الموقع تهم الصينيين حيث الطريق الطبيعي للاتصال بأواسط آسيا وغربها، كما أنها بنفس الوقت تهم المسلمين الذين يريدون الاتصال بكاشغر المنطقة الاسلامية وبالتالي بالعالم الاسلامي الممتد غربها مباشرة، كما أن المسلمين يرغبون في تكوين دولة لهم تضم كانسو وستشوان ويونّان ، وهذا ما جعل من اهتمام الصين يزداد في السيطرة على كانسو حيث تخاف المسلمين وتخاف فكرة تأسيس سلطنة اسلامية .

تقع كانسو على السفوح الشرقية لجبال نان شان ، فهي بذلك تكون نهاية الجبال السامقة، وتنحدر المياه من المرتفعات نحو كانسو : الأول منها تجري المياه نحو الشمال وتعتبر نهر اتسين نموذجاً لهذه المجاري حيث يرفده عدد من الروافد ، وتفيض مياهه في النهاية في جنوب صحراء غوبي عند حدود منغوليا ويعتبر ممر هذا النهر الممر الطبيعي بين الشرق والغرب ووسطاً بين المناطق المرتفعة في الغرب والجنوب والفيافي الواسعة المقفرة في الشرق والشمال ، أما اتجاه المياه الثاني فتنحدر الروافد نحو النهر الأصفر (هوانغ هو) الذي يعتبر

أهم أنهار الصين ، وتأتي مياهه من هضبة التيبت ، ويمر في وسط كانسو ، وبين هذين القسمين بني سور الصين العظيم ، وهذا يدل على أن شمال وغرب كانسو كان في القديم مسرحاً لتنقل قبائل عديدة ذات بأس وشدة ، تغير بشكل دائم على الصين فتعيث فيها الفساد ، مما حدا بأهل الصين أن يقيموا سوراً يقيهم شر هذه الغارات بينما في جنوب كانسو يقيم أقوام يمتهنون الزراعة ويعرفون حياة الاستقرار .

والمسلمون في ولاية كانسو كثيرون وخاصة في غربها حيث تعتبر امتداداً للعالم الاسلامي ، وقد كان عددهم عام ١٩٢٠ م ما يقارب ثلاثة ملايين ونصف ، أما اليوم فلا يزيدون على ستة ملايين على حين أنهم يجب أن يكونوا قد بلغوا ١٥ مليون نسمة لو أن زيادتهم كانت تسير بشكل طبيعي كبقية المقاطعات الصينية وخاصة إذا لاحظنا أن نسبة المواليد لدى المسلمين تزيد عن نسبة غيرهم من أهل الصين ، ولكن الثورات التي حدثت في البلاد جعلت نواحٍ عديدة تخلو من المسلمين بعد الثورات التي جرت فيها ، ففي مدينة ليانغ تشو لم يبق سوى سبعين مسلماً ، وفي مدينة لان تشو قاعدة المقاطعة يوجد ٢٥ ألف مسلم ولهم جوامع عظيمة . وقد منع المسلمون بعد الثورات الأخيره من سكن المدن ، فأقاموا في الضواحي ، وبنوا فيها المساجد ووسعوا القديم منها كما هو الحال في نينغ هسيا وبينغ ليانغ .

وبقي الاسلام في أحفاد الاويغور طائفة جنكيز خان إلى يومنا هذا ، وأن الاويغور والطاتغون هم سكان بلاد كانسو .

ويقول بعض المؤرخين أن المسلمين عن كل ما قيل في عدد سكان كانسو ، فهم يشكلون السواد الأعظم لسكان هذه الولاية ، وأن بعض المدن كانت محط رحـــال طلاب العلم والمثقفين من جميع الصين ، وأن المساجد قد أحصيت في بعض مدن المقاطعة فبلغت المئات .

والمسلمون في كانسو يتميزون عن الصينيين الذين يسمونهم « هواي هواي » وهو لقب طائفة الاويغور، أما هم فيؤثرون أن يعرفوا باسم « كياومن » أي أهل الدين . وأهم الثورات التي قامت في ولاية كانسو :

١ — ثورة نشبت عـــام ١٧٥٨ م وتعرف باسم ثورة سوسيان .

٢ — ثورة قامت عام ١٧٦٨ م وتعرف باسم ثورة مانسين.

٣ — ثورة حدثت عـــام ١٨٦٤ م وهي جزء من ثورة يعقوب بك التي شملت تركستان وكانسو وشنسي واستمرت عشرين عاماً ١٨٥٥ — ١٨٧٥ م .

٤ — ثورة عام ١٨٩٥ م .

ولا شك أن أهم ثورة هي التي قامت ١٨٦٤ ، وقد قال أحد الذين عرفوا هذه الثورة « وفي عام ١٨٦٤ م ثارت فتنة في الشرق والغرب من الصين أصلها اثنان « مياوباي لين » و « ماهوا لونغ » فأخذا يعيثان فساداً في كانسو واتصل الثاني منهما بثوار عصاة في جنوب مقاطعة شنسي وشمالها فأثاروا الأهالي في نينغ هسيا ومدناً أخرى ، فساقت الحكومة جيوشاً إلى مدينة نينغ هسيا ، وحاصرتها ، وقتلت خلقاً كثيراً ، ثم اقتحمتها عام ١٨٦٥ م بعد حروب طويلة إلا أنه في عام ١٨٦٨ م عادت الثورة فاشتعلت ، فأرسلت الحكومة جيوشاً ، وسفكت دماء كثيرة ، واستردت كثيراً من المدن العاصية ، وفي عام ١٨٧١ م أسرت الحكومة ماهوالونغ وزعيماً آخر اسمه ماباتسياو وصلبتهما ، وهاجمت مدن هوتشيو وسينينغ وسوتشيو ، وأخمدت الثورة في جميع بلاد كانسو وشنسي » .

وكان للثائر ماهوالونغ شيعة يقولون عنه أنه قطب وأن هذا المركز قد انتقل من بعده إلى صهره ماتاهي وحفيده ما أولهي ، وقد تبع كلا منهما حزب وشيعة ، وكان مركز الصهر أقوى . ولا شك أن هذا الاحترام والتقدير لأحد زعماء الثورة وهو ماهو الونغ وبقاء هذا الحب فترة طويلة بعد موته ، واعطاءه لقب قطب ليس هو إلا تبياناً لرغبة

الشعب، في التخلص من حكم الصين وتأسيس دولة خاصة بالمسلمين .

نينغ هسيا

مقاطعة أكثر سكانها من المسلمين ، وقد أصبحت مقاطعة خاصة رغم أنها جزء من كانسو في طبيعتها وسكانها ، ويقصد من هذا التقسيم تجزئة بلاد المسلمين لامكانية السيطرة عليهم وسهولة حكمهم .

وتميل أرض هذا القسم نحو الشمال حيث تقع أخفض المناطق عند حدود منغوليا ، وتتألف الأرض من فيافي واسعة تفيض في رمالها المياه المنحدرة من مقاطعة كانسو فتشكل بعض المستنقعات وتقوم على المجاري المائية بعض الواحات ، وأهم هذه المجاري نهر اتسين الذي يتفرغ إلى عدة فروع تفيض كلها قرب حدود منغوليا مشكلة مجموعة من البحيرات والمستنقعات .

ومعظم أراضي نينغ هسيا نجود رملية وصحراء جرداء لذلك كانت تجوبها قبائل محاربة تغير على المناطق الآهلة والبلاد المستقرة فتعيث فيها فساداً ، ولهذا نجد أن معظم أراضي هذا الجزء يقع خارج سور الصين سوى جزئها الجنوبي الشرقي

حيث يجري النهر الأصفر أعظم أنهـــار الصين ، وتقوم على جانبيه حياة ذات حضارة زراعية ، ويعيش السكان في مدن وقرى واسعة ، ويشكل هذا النهر حدود المقاطعة الشرقية مع ولاية سوي يوان .

وبسبب كثرة الرمال نرى أن النهر الأصفر تتوزع مياهه إلى عدة فروع تقع مدينة نينغ هسيا على أحدها وهي قاعدة الولاية وأعظم مدينة فيها ، وقد أخذت الولاية اسمها ويحيط بهذه المدينة سور الصين .

وقد عاد الاسلام ينمو ويزداد شمال نينغ هسيا ، وجميع المسلمين يتجرون بالجلود والصوف ، وسكان كل مراكز الأنهر ولا سيا النهر الأصفر هم من المسلمين .

ولما كانت نينغ هسيا جزءاً من كانسو فإن أهم المدن في هاتين المقاطعتين هي :

لان تشو : وهي قاعدة مقاطعة كانسو وتقع على النهر الأصفر قريبة من حدود التيبت ، ويستدير في غربهـــا سور الصين العظيم ، وتتصل بالصين بخط حديدي وأصبحت تسمى اليوم كاولان علىالقاعدة الشيوعية في تغيير أسماء ومعالم المدن.

سوتشيو : وتقع خارج نطاق السور على رافد من روافد

نهر اتسين وقد سميت اليوم باسم كيوتشان ، وفيهـا مطار ، وتعتبر أهم مدن شمال كانسو .

ليانغ تشيو : وتقع أيضاً خارج نطاق السور على مجرى مائي صغير تفيض مياهه في داخل مقاطعة كانسو ، ويقع السور في شرقها على بعد عدة كيلو مترات ، وتعتبر أهم مدن كانسو الوسطى ، ويطلق عليها اليوم اسم يووي .

بينغ ليانغ : وهي أهم مدن جنوب كانسو ، وفيها كلية للمسلمين .

نينغ هسيا : وهي قاعدة مقاطعة نينغ هسيا وتقع على أحد تفرعات النهر الأصفر ، وقريبـــة من حدود المقاطعة الشرقية وفيها مطار ، وقد اختيرت قاعدة لهذه المقاطعة لأنها أكبر مدينة في المنطقة المأهولة الوحيدة .

هوتشيو وسيذينغ : وقد ضمت هاتان المدينتان إلى التيبت بسبب مركزهما الاسلامي ، وذلك لفصلهما عن بقيـة المجتمع الاسلامي ويلتف حولهما السور ، وتتنقب النساء المسلمات في هوتشيو بنقاب أسود .

يُونّــان

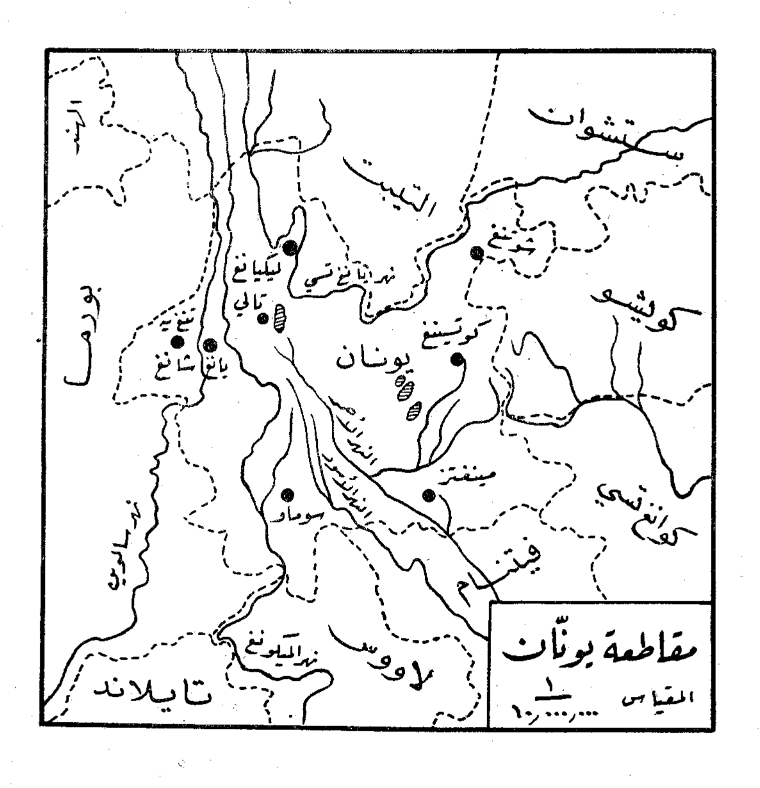
تقع يونّـان بين منطقة التيبت ومقاطعة ستشوان من الشمال وتحدهـــا دولة بورما من الغرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتي كوانغسي وكيوتشو من الشرق . وهي منطقـــة جبلية بالدرجة الأولى حيث تمتد هضبة التيبت نحو الجنوب الغربي فتشكل سلاسل جبلية ضيقة وبارزة بروزاً عنيفاً تفصل بينها منخفضات تغطيها النباتات وحقول الرز .

وقد كانت الالتواءات الهيمالائية المرتفعة تغطي هذه المنطقة حيث عمل الحت فيها عمله ، فانقلبت إلى هضبة حُفرت فيها الأودية العريضة ، ثم أصابتها انكسارات فقطعتها إلى أجزاء متفاوتة الارتفاع تشكلت فيهـا حفر وأغوار عميقة طولانية تشغلها البحيرات الكثيرة التي تفرغ معظمها وإن بقي الكثير

منهـــا كالتي نشاهدها في جوار مدينة تالي ومدينة يونّان أو كون مينغ ، وتشكل السهول المحيطـــة بهذه البحيرات أهم المساحات الزراعية في البلاد .

ثم ارتفعت المنطقة بأكملهـا ووجدت التضاريس الحالية ، وكان لهذا النهوض أثره في سير الأنهـــار ومرحلة الحت التي وصلت إليها، إذ أن الأنهار تجدد حتها فنشأت المساقط المائية التي تعرقل الملاحة . وكان التعمق الرأسي للوديان هو المسيطر مما أعطاها شكلها السحيق .

وتجري الأنهار مساير بعضها بعضاً تفصل بينها جبال ترتفع ٣٦٠٠ – ٤٥٠٠ م في الأقسام الشمالية ولكنهـــا تنخفض في الجنوب حتى ٢٠٠٠ – ٢٤٠٠ م ، وهذه الجبـــال موحشة ومحددة لعنف الحت بسبب الامطار الغزيرة ، وتكون الحياة النباتية موحشة رهيبة فتقوم الغـــابة الكثيفة المسماة بغابة الموت . وجنوب عرض مدينة تالي ينخفض وادي سالوين حتى ٩٠٠ م بينما ترتفع جوانبه الجبلية حتى ٣٠٠٠ م وتنحدر عليه بميول تكاد تكون قائمة ، وفي أعمـــاق الوادي تقوم الغابة المدارية الكثيفة التي لا تترك مجالاً فيها حتى للحيوان ، لكن البعوض والحشرات تكثر جداً وتنقل مرض الملاريا ، وقـــد تجنب السكان في طرقاتهم المرور في الوادي .


مقاطعة يونّان
المقياس
١ / ١٠،٠٠٠،٠٠٠
سشوان
التيبت
كويشو
كوانغ تسي
يونان
كونمينغ
تالي
ليكيانغ
نهر يانغ تسي
يانغ
بورما
فيتنام
لاووس
تايلاند
منغتز
سوماو
نهر الميكونغ
نهر سالوين

والصخور بمعظمها كلسية مما جعل فيها شبكة مائية ضمنية، وكثيراً مـــا ابتلعت مياه الشبكة المائية السطحية بكاملها أحياناً ، وتوجد أحواض شبيهة بدولينات الأراضي الكلسية الكارستية ، ولذا فهي فقيرة قليـــلة الصلاح للزراعة وحتى للمراعي إلا في السهول وأحواض الأودية المفتوحة نوعاً ما .

والمنطقة الغربيـــة معرضة للهزات الارضية والزلازل الشديدة المخربة .

المنـــاخ

تقع منطقة يونّان في العروض فوق المدارية ومع ذلك فهي ذات حرارة معتدلة بسبب ارتفـــاع السطح . ويكون الشتاء لطيف المناخ حيث لا ينقص معدل كانون الثاني عن ١٠° كما أن الجو صافٍ تماماً ويحدث صقيع قليل أثنـــاء الليل . ويبتدىء فصل الجفاف من تشرين الثـاني ويمتد حتى نيسان . أما في الصيف فتهطل الأمطار في فترات عديدة تمتد من حزيران حتى أيلول ، ويزيد المتوسط السنوي عن ١١٠٠ مم ، يهطل أكثر من نصفها في شهري تموز وآب ، وهذا ما يعرض الانهار لارتفاع سريع في مياههـا التي تفيض وتغرق السهول اللحقية التي تقوم في قيعان الأودية .

وبالرغم من الرطوبة المطلقة فإن المنـاخ محتمل ولا يزعج

الأنسان لأن الحرارة تبقى معتدلة حيث لا يزيد متوسطها في شهر تموز عن ٢٦° وتعتبر المنطقة مصيفاً للأوربيين الذين يقيمون في الهند الصينية .

الميـــاه

تعتبر منطقة يونّان منطقة مائية ذات أثر كبير ، فإضافة إلى الانهار الكبيرة التي تجتازها قادمة من التيبت فإنها تتلقى كميات كبيرة من المياه ناتجة عن ذوبان الثلوج التي تتساقط على ذرى جبالها وعن الامطار الغزيرة التي تهطل عليها ، مع العلم انه لا يضيع الكثير من مياهها لأن هذه الانهـــار تجري في أودية سحيقة فلا تروي مساحات واسعة من الارض وكذلك لا تتعرض لاشعة الشمس اللاهبة لتكون عرضة للتبخر من مياهها . كذلك يمكن اعتبارها خزاناً للمياه حيث ينبع منها أيضاً أنهـار على غاية من الاهمية ، ولنرى أولاً أهم الانهـار التي تجتازها :

١ً – **نهر يانغ تسي « الأزرق »** : وهو أهم أنهار الصين الوسطى على الاطلاق وينبع من هضبة التيبت ويدخل منطقة يونّان ، ثم يعود ليشكل الحدود بينها وبين التيبت ، وأخيراً يدخل مقاطعة ستشوان بعد أن يشكل جزءاً من حدودها .

٢ً – **نهر الميكونغ** : ويأتي أيضاً من التيبت ويجتاز المنطقة

من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ويدخل بعدهـا لاوس ليشكل الحدود بينها وبين بورما ثم بينها وبين تايلاند ويدخل بعدها كامبوديا ثم فيتنـام الجنوبية حيث يصب في بحر الصين الجنوبي جنوب غربي سايغون .

٣ً – **نهر سالوين** : ويأتي من التيبت ويمر في غرب المنطقة حيث يدخل في بورما ويصب في خليج البنغال .

أما أهم الانهار التي تنبع من منطقة يونّان فهي :

١ً – **النهر الأحمر** : الذي ينبع من وسط البلاد جنوب مدينة تالي ويتجه نحو الجنوب الشرقي فيدخل فيتنام الشمالية ويستمر في جريانه حيث تقوم عليه العاصمة هانوي ، وأخيراً يصب في خليج طونكين .

٢ً – **النهر الأسود** : ينبع من جنوب البلاد ويسير سيراً موازياً للنهر الاحمر وأخيراً يلتقي به قبل مدينة هانوي .

الحياة البشرية

يقل الصينيون عن نصف سكان المقاطعة رغم تدفقهم إليها منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام ، وتدفقهم إليهـا في الوقت الحاضر ، أمـا أكثرية السكان فهم مجموعة من القبـائل أو

القوميات . وما الصينيون إلا من المستعمرين طردوا السكان الاصليين من رجال القبائل إلى التلال المرتفعة والاودية السحيقة ، واحتفظوا لانفسهم بأخصب الارض في السهول والأودية الفسيحة التي يسهل الوصول إليها حيث يعملون في زراعة الرز بينما يزرع السكان الذرة والدخن والشعير .

ويوجد في هذه المقاطعة أكثر من ٢٠٠ قبيلة لكل منها لغتها الخاصة وإن أجبرت حالياً على تعلم اللغة الصينية ولكن لا تزال تتكلم فيما بينها بلغتها المحلية . وهذه القبائل تكره الصينيين وتكن لهم كل حقد وكراهية ، ولكنها في الوقت نفسه تخشاهم فالسيف مصلت مشهور .

ويشكل السكان الاصليون $\frac{٢}{٣}$ السكان في المناطق الجبلية حيث تنخفض الكثافة بينما يتراوح عددهم $\frac{١}{٥}$ – $\frac{١}{١٠}$ في المناطق السهلية . ويقدر وسطي الكثافة بـ ١٠٠٠ شخص في الكيلومتر المربع وهي كثافة عالية إذا ما قورنت مع غيرها .

وقد جاء الصينيون إلى المنطقة عن طريق ستشوان ولم تلحق يونّان بالامبراطورية الصينية إلا في القرن الثالث عشر الميلادي . وأشهر القبائل هناك اللولو الذين يعيشون بعيدين

عن المدن والطرق الرئيسية في أكواخ ترابية أو جذوع الاشجار ويمتهنون الرعي والسكان بشكل عام خاملون لذلك نجد أن معظم الاعمال التجارية بيد تجار من كانتون وستشوان.

الزراعة

تنحصر الزراعة في السهول المرتفعة والوديان المفتوحة القليلة والسفوح المنحدرة المدرجة ، وكثير من هذه الأماكن ما تكون ذات مساحات محدودة . وحيثما تتوفر الأرض المستوية تصبح الزراعة كثيفة . وتكون الأنهار عادة في أودية سحيقة لدرجة يصبح معها ري سفوح التلال مستحيلاً .

وأهم الزراعات هي :

١ – الرز : وهو المحصول الرئيسي الصيفي ويشكل الغذاء الرئيسي ويشرف الصينيون على زراعته ومواطنه السهول الفسيحة .

٢ – الذرة : وهي زراعة وغذاء السكان الأصليين مع الشعير والدخن .

أما المحاصيل الشتوية فتضم الأفيون والقمح والبذور الزيتية ، ثم هناك التبغ والقنب وأنواع جيدة من الخضار

أهمهـــا البطاطا ، ثم الفواكه الممتازة مثل الخوخ والإجاص والبرتقال والمشمش والليمون والجوز والكستنا .

ويستهلك الأفيون بشكل واسع وخاصة من قبل السكان الأصليين الخاملين ، غير أن المسلمين يحرمونه ويحاولون منعه والتقليل من زراعته ولكن يضغط عليهم الصينيون حتى يزداد الخمول واللامبالاة ويستطيعون السيطرة التامة على المنطقة .

وكذلك تربى الأبقار والأغنـــام والماعز وحيوانات الجر والنقل ليستفاد منها حيث تقتضي طبيعة البلاد استعمالها بكثرة.

الثروة المعدنية

يكثر الفحم والحديد في المنطقة كما أن النحاس قد استثمر منذ أكثر من ١٠٠٠ عام وكانت هذه الولاية تمون أسواق الصين منذ القديم بهذه المادة . أما القصدير فتنتج مـــا يقدر بـ ٦ ٪ من الانتـــاج العالمي ويشق طريقه إلى هونغ كونغ وموطنه منطقة مينغتز . إضافة إلى معادن أخرى ذات أثر بالحيـــاة الاقتصادية .

المواصلات

صعبة وقليلة بسبب طبيعة البلاد حيث تتعاقب المرتفعات الشاخة مع الأودية العميقة ، وقد لا تتصل مع الدول المجاورة

وخاصة مع بورما إلا عن طرق الحيوانات أو ظهور الرجال . حتى أن الطرق المعبدة التي تصل بين مدنها تعتبر قليلة وصعبة، وليس هنـــاك إلا سكة حديدية واحدة تصلها مع فيتنام الشمالية ، وتعرف باسم طريق طونكين حيث تبدأ من مدينة كوتسينغ إلى يونّـان العاصمة وتتجه جنوباً حتى مدينة مينفتز وتساير بعدها مجرى رافد النهر الأحمر حتى الحدود مع فيتنام وتسير بعدها في وادي النهر الأحمر حتى مدينـــة هانوي فالساحل .

يزيد عدد المسلمين في يونّـان على المليون كثيراً ، ولكن يخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي اجتناباً من مخاوف الحكومة . ويعرفون هناك باسم بانطي ، ويتميز المسلمون عن سائر الأهالي بملامحهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من الأنفة ما لا يلوح على سواهم ويكرهون الاختلاط بالوثنيين ولكنهم قـــد يتعاملون معهم فيشترون من نباتهم وخضارهم بالدراهم . ويحرمون الأفيون الذي يدمن عليه باقي السكان .

وكان ظهور الاسلام في هذه المنطقة على يد رجل يدعى سيد الأجل وهو سيد شريف يدعي أنه من آل البيت واسمه الحقيقي شمس الدين عمر ، دخل في خدمـــة حكومة الصين وأحسن لهـا فأعطته ولاية يونّـان فكان خير رجل استلم هذه

المهمة حيث وزع العدل ونشر الأمن واستطاع نشر الاسلام ، وتنسب إليه كثير من الأعمال الجليلة ، وبقيت أسرته من بعده تتمتع بمركز مرموق حتى القرن العشرين . وأغلب المسلمون في يونّان لا يعرفون من العربية إلا السلام عليكم وبسم الله الرحمن الرحيم والله أكبر ، وأما العلماء فيقرؤون العربية دون أن يفهموها . وفي المساجد كتابات عربية وليس لها مآذن كما في سائر بلاد الاسلام ويعود ذلك إلى الخوف والإخفاء .

ويدعى الإمام (الاهونغ) وله وظيفة ثانية غير الإمامة وهي تعليم الأحداث العقيدة الاسلامية واللغة العربية ففي كل جامع مكتب للأولاد بجانبه ، وعندما يصبح الطالب على شيء من العلم يحق له أن يلبس الثوب الأخضر ويضع العمامة على رأسه . ويقال للاستاذ في علمالتوحيد (هوليفو) وإذا ارتقى أخذ اسم (اهونغ) . وإذا ذهب إلى الحج قيل له (اولتش) . ويقال للشيوخ الكبار (سوفو) ويوجد من يقول لهم (اوسوتو) أي الاستاذ وهؤلاء الذين حصلوا على العلم في مدن كانسو أو الأزهر . والمسلمون في يونّان خاملين بسبب ما أصابهم بعد ثورتهم ولانعزالهم عن بقية المسلمين بسبب موطنهم النائي ثم الفقر وخوفهم من السلطة حيث ذهب منهم في ثورتهم ما يقدر بـ ٣٠٠ ألف مسلم .

بدأت الثورة في يونّان عام ١٨٥٥ واستمرت حتى عام

١٨٧٣ م وكان سببها المباشر العمال ، فقد اصطدم المسلمون مع غيرهم من زملائهم العمال فكان النصر للمسلمين ، فحقد عليهم الصينيون وجمعوا جموعهم كما أثاروا جميع الوثنيين في تلك المنطقة لاستئصال شأفة المسلمين وذلك في شهر أيار من عام ١٨٥٦ ، ولكن المسلمين قد شعروا بذلك فأعدوا عدتهم — والاستعداد واجب — فكانت المعركة لهم ، ولم تستطع الحكومة أن تنال منهم إلا في القرى التي يسكنها قليل من المسلمين ، واستمرت المعارك بين الطرفين وكان النصر للمسلمين في كل معركة حتى استطاعوا فتح مدينة تالي ونودي بالسيد سليمان دوفنسيو زعيم الثورة سلطاناً عليها ، وفتحوا منها طريقاً إلى بورما يهربون منه السلاح والمال — وكان فتح هذا الطريق بشكل غريب عمل فيه جميع المسلمين من النساء والأطفال والشيوخ والرجال الذين ليسوا في المعارك ، وبعمل متواصل لا يعرف التعب والملل حتى أنجز بوقت قصير جداً — ومن ثم استولوا على حاضرة البلاد مدينة يونّان وأسسوا دولة دامت ثلاثة عشر عاماً ، وحكومة الصين لا تزداد أمامهم إلا ضعفاً وانخذالاً واعتقدت أنها لا قبل لها بهم إلا بالحيلة حيث لا يمكنها النصر بالسيف ، فاجتذبت زعماء منهم بالحيلة والرشوة والأماني فعملوا في صفها كما هو الحال في كل وقت ، فاستطاعت أخيراً أن تفصم عرى وحدتهم فقام الزعيمان ماتوسين وماجولونغ يقاتلان سليمان دوفنسيو وينتصران لحكومة الصين ، وقد تم لهما

ما يريدان وعندها أعملت الحكومة السيف بجميع المسلمين حتى قتلت منهم أكثر من مائة ألف ولاذ بعضهم الفرار إلى دولة بورما . فضعف بعدها أمر المسلمين وأخفوا أنفسهم وتواروا عن المسرح ، ونشأ عندهم الانعزال والخمول ، وابعدوا عن الوظائف والمراكز .

وبعد أن حصل الانقلاب في الصين عـام ١٩١٢ وأعلنت الجمهورية التي أعطت الحرية الدينية بعض الشيء وذلك بما فيها للمسلمين ، فأملوا في تأسيس الجمعيات وإنشاء المدارس وتعليم اللغة العربية وزينوا جوامعهم بالكتابة العربية وظهروا إلى الوجود ولكن لم يطل بهم الأمر .

وأشهر مدن يونـّان :

١ — مدينة يونـّان حيث تقع في شرق البلاد على مقربة من مجموعة من البحيرات فتنتشر السهول وتقوم الزراعة وهذا ما أوجد هذه المدينة . وتعتبر عاصمة الولاية ، ويطلق عليها اليوم اسم كون مينغ .

٢ — مدينة تالي وتقع في الغرب وعلى مقربة منها من جهة الشرق تقوم أيضـاً بحيرة واسعة فتنتشر السهول وعلى مقربة منها ينبع النهر الأحمر .

٣ – يانغ شانغ بالقرب من حدود بورما وتعرف اليوم باسم بوشان .

٤ – تنغزين بالغرب من سابقتها فهي أقرب المدن إلى بورما وقد سميت اليوم باسم تنغ شان .

هذا بالإضافة إلى مدن سوماو ومينغتز وشوكينغ (كوتسينغ) وشوتنغ التي تقع في أقصى الشمال الشرقي .

بقية المقاطعات

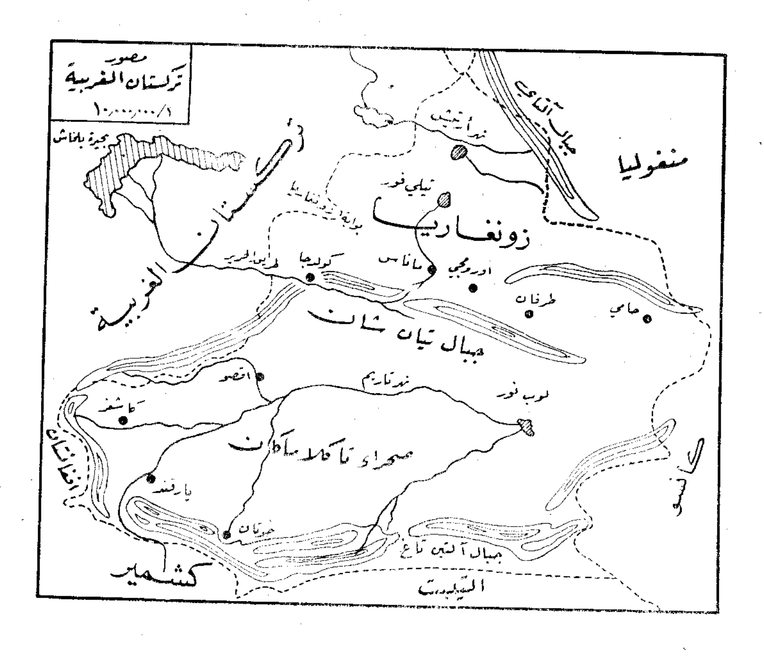
أما بقية المقاطعات في الصين فعدد المسلمين فيها قليل وأثرهم ضئيل ، لذا فإنا سنجملها إجمالاً حيث يكفي أن يعرف القارىء توزع المسلمين في كل مقاطعة وأهم مراكز تجمعهم.

١ً – **مقاطعة شنسي** : ويقدر عدد المسلمين بمليون نسمة، وأهم مراكز تجمعهم مدينة سنغان حيث يوجد فيها سبعة جوامع وتعرف هناك باسم سنغان فو حيث تعني كلمة فو مدينة ، وكذلك مدينة تشونغ التي فيها ثلاثة مساجد . وقد قامت ثورة المسلمين في هذه المقاطعة عام ١٨٦٠ بعد أن اشتعلت في كافة أرجاء الصين ، وكانت الدائرة فيها على الصينيين ، وتابعهم المسلمون في كل ناحية من السهل والجبل ، يقتلون ويسبون ولكنهم عجزوا عن دخول مدينة سنغان لمناعة حصونها ، ثم امتد لهيب الثورة إلى كافة أنحاء شنسي وقام المسلمون قيام رجل واحد ، وفر الصينيون من أمامهم ، وتمت

للمسلمين السيطرة على ولايات كانسو وشنسي وشانسي ، والتجأ الوثنيون إلى الكهوف ، واستمرت الحروب خمسة عشر عاماً، ظن الصينيون أثناءها أنه لا أمل لهم بالعودة إلى هذه المنطقة، ولكن الشقاق لم يلبث أن وقع بين صفوف المسلمين، فاستطاعت حكومة الصين استرداد شنسي ثم كانسو ثم معاقل تيان شان وشرد بقية الثوار في زونغاريا .

٢ً – **مقاطعة شانسي** : وتقع إلى الشرق والشمال الشرقي من شنسي ويقدر عدد المسلمين فيها بـ ٢٥ ألف مسلم موزعين في المدن الكبرى ، واعتباراً في شنسي يقل عـــدد المسلمين كلما اتجهنا شرقاً للبعد عن العـــالم الاسلامي والتجمعات الاسلامية ، ولكن يعود ليزداد نسبياً بالقرب من السواحل حيث انتشر الاسلام هناك عن طريق التجارة .

٣ً – **مقاطعة تشيهلي** : وهي اليوم عدة مقــاطعات ، ويقدر عدد المسلمين فيها بين المليون ونصف المليون ، وفيهــا عدد كبير من المساجد ، حيث يقدر عددها في مدينة بكين فقط بـ / ٤٠ / مسجداً ، ويسمى المسجد الأعظم « ثين شيه » ويقدر عدد المسلمين في بكين مع ضواحيها بـ / ١٠ / آلاف ، كذلك يكثر المسلمون شمال جدار الصين الكبير .


مصور
تركستان الغربية
١٠,٠٠٠,٠٠٠/١
بحيرة بالخاش
تركستان الغربية
بوابة زونغاريا
جبال آلتاي
منغوليا
نهر ارتيش
تيلي نور
زونغاريا
طريق الحرير
كولدجا
ماناس
اورومجي
طرفان
حامي
جبال تيان شان
اقصو
نهر تاريم
لوب نور
كاشغر
صحراء تاكلا ماكان
ياركند
خوتان
جبال آلتين تاغ
افغانستان
كشمير
التيبت
كانسو

وقد أرسل السلطان عبد الحميد من استانبول بعثة مؤلفة من حسن حافظ وعلي رضا ، فأسست البعثـــة مدرسة في نيوكياي ، وكان عدد طلابها ١٢٠ طالباً وأقبل المسلمون عليها اقبالاً شديداً ، لا لكون البعثة قادمة من قبل الخليفـة وإنما لأنها قادمة من الآفاق الغربية التي يظن الصينيون أن النبي ﷺ قد ظهر منها ، وطافت البعثة الحواضر الاسلامية ، ودعت إلى الانضمام إلى الخلافة العثمانية .

وكان في بكين جريدة اسلامية اسمها « تشنغ تشونغ نغاي كوباو » أي الجريدة الوطنية .

٤ً – **شانتونغ**: ويقدر عدد المسلمين فيها بـ ١٠٠–٢٠٠ ألف مسلم والزيادة في هذه المقاطعة بسبب الموقـــع البحري فقد انتشر الاسلام فيها عن طريق التجارة .

٥ً – **مقاطعة منشوريا** : وعدد المسلمين ربـع مليون نسمة يتجمع ١٧ ألف منهم في مدينة موكون مركز المقاطعة التي أصبح اسمها اليوم « شن يانغ » .

٦ً – **مقاطعة منغوليا الداخلية** : يعيش في جنوبها عدد من المسلمين واحصاؤهم متعذر ، بينما بقية مناطقهـــا تعتبر مقفرة .

٧ً – **مقاطعة ستشوان** : يزيد عدد المسلمين فيهـــا عن ربـع مليون نسمة، ومركز الاسلام فيها في الشمال الغربي حيث القرب من المناطق الاسلامية وأشهر المراكز الاسلامية بلدة سونغ بان تينغ وبلدة كيوشيا وفيها ١٢ إماماً و ١٠٠ اهونغ « عالم » ولم تقم في ستشوان ثورات كما في بقية المقاطعات .

٨ً – **مقاطعة هونان** : ويقدر المسلمون بربـع مليون نسمة وأكبر نسبة منهم في مدينة هوي شينغ حيث يسكنها٤٠ألف مسلم بينما القرى المجاورة لها كلها مسلمة ، ويوجد في مدينة شنغ شو ١٠ آلاف مسلم ، وكذلك فإن بلدة هوي تين شي كلهم مسلمون ومساجدهم كثيرة .

٩ً – **مقاطعة هوبه** : يعيش ١٠ آلاف مسلم في مدينـــة فوشانغ ولهم ثلاثة مساجد ، وفي مدينة هانكو مسجدان .

١٠ً – **مقاطعة آن هوي** : يعيش ٤٠ ألف مسلم ويكثرون في شمالها خاصة ، وفي العاصمة انكينغ يعيش ٦ آلاف نسمة منهم ولهم مسجدان .

١١ً – **مقاطعة كيانغ سو** : وفيها ٢٥٠ ألف مسلم أيضاً، وفي مدينة نانغ كينغ عشرة آلاف منهم ولهم ٢٥ جامعـاً وكذلك يكثرون في مدينة شنغهاي حيث المركز التجاري .

وكثرتهم في هذه المقاطعة تعود إلى الموقــع البحري ، ومدينة شنغهاي .

١٢ً – **مقاطعة تشيكيانغ** : وفيها ٧٥٠٠ مسلم فقط ، وتعتبر هانغ تشوفو أكبر مدينة يقطنهـا المسلمون في تلك الولاية ، وهي التي يذكرها جغرافيو العرب ، وقد قـال ابن بطوطة أنه شاهد فيها محلة اسلامية عظيمـة ، ولم يبق اليوم منها سوى مئات العائلات و ٤ مساجد .

١٣ً – **مقاطعة كوي شو** : ويعيش فيها ١٠ آلاف مسلم ولهم أربعة جوامع .

١٤ً – **مقاطعة كوانغ سي** : ويقدر المسلمون بـ ٢٠ ألف نسمة منهم ٨ آلاف في العاصمة كوي لين وفي مدينــة فوتشو ستة جوامع .

١٥ً – **مقاطعة كوانغ تونغ** : يعيش في هذه المقاطعة ٢٥ ألف مسلم وأكثرهم في مدينة كانتون حيث تعتبر مركز الصين الجنوبية التجاري وهي التي عرفت باسم خانسو كما أن العرب قد أطلقوا عليها اسم الخنساء، أما ابن بطوطة فذكرها باسم سين كالان ولم يبق منها اليوم سوى ١٠ آلاف مسلم لهم خمسة مساجد .

١٦ً – **مقاطعة كيانغ سي** : وفيها ما لا يزيد عن ثلاثـة آلاف مسلم .

١٧ً – **مقاطعة فوكيين** : وفيها آلاف قليـلة من المسلمين ولهم في مدينة آموي ومدينة تشانغ تشو عدة مساجد، وكان أكثر موظفي آموي من المسلمين لشهرتهم بالاستقامة والإخلاص.

الخاتمة

هذه أوضاع المسلمين في الصين قبل الثورة الشيوعية عام ١٩٤٩ م ، أما الآن فقد تغيرت الأحوال، وتبدلت الأوضاع، ولا يعلم الحقيقة إلا الله ، إذ بينما تغيرت عقيدة بعض المسلمين تحت تأثير الضغط أحياناً والتوجيه أحياناً أخرى . وخاصة بالنسبة إلى النشء الجديد، وتارة من أجل الوظائف والمناصب، وتارة بسبب ضعف الإيمان حيث يظن بعض الناس أن الأرزاق والأعمار بيد الحكام ، إذ بينما يحدث هذا يعتقد بعضهم أن الاسلام قد زال نهائياً عن مواقعه في تلك الأرجـاء النائية ، واستقرت الشيوعية إلى النهـــاية هناك ، وانتهى الجيل الذي يعتقد بالدين نهائياً ، وانقرض أولئك الرجال المتدينون ؛ نجد أن بعض الناس قد تمسكوا بعقيدتهم ، واحتفظوا بدينهم أشد الاحتفاظ وإن كانوا قد تواروا في عبـــادتهم عن الأنظار ،

وابتعدوا في صلواتهم عن العيون ، واحتجبوا مع أسرهم عن الناس ، وأراد الواحد منهم أن يموت مؤمناً يحب ألا يعرفه أحد في دنياه ، مجهولاً غير معروف ، ضائعاً غير معلوم ، ولا ولا يطمع في معرفة أو مساعدة أحـــد ، ويرغب أن يموت منفرداً بائساً ولكن على عقيدته .

وقد بدل التاريخ وشوه ، واعتبر تاريخ المنطقــة جديداً لا يتجاوز قيام الثورة ، ووضع ومسخ بشكل لا يلائم إلا الفكرة التي تتبناها الدولة بغض النظر عن صحــة الحوادث ، وصدق التأريخ ، وموافقة الواقع . وبدلت أسماء المدن حتى نسيت أسماؤها الصحيحة ، ويصعب الرجوع إليهـا اليوم في الأطالس الحديثة ، وجزئت المقاطعات فضمت أقسام لهـــا لا علاقة بينها وسلخت منها أجزاء تعتبر ذات صلة رئيسية بها ولا ترتبط بغيرها ، وذلك لفصم الروابط بين المقاطعات المنسجمة وخاصة إذا كان يكثر فيها المسلمون ، وقد رأينــا كيف أخذت مناطق من مقاطعة كانسو وضمت إلى التيبت التي يقل فيها المسلمون جداً .

وغيرت الأوضاع الاقتصادية وأصبح الحرام حلالاً واغتصب الحكام أموال الشعب باسم القانون وأصبح مـــال الرجل من طريف وتالد لغيره .

وبدلت الأوضاع الاجتماعية فتهدمت الأسرة وتحطم الرباط بين الأفراد ، وتعدى المسؤولون على حرمة البيت وكرامة العائلة ، وضاعت العادات والتقاليد وامحت الحشمة والأخلاق.

وقد شعر كثير من الناس بالخواء الفكري منذ الآن رغم قصر الزمن وعدم استقرار الوضع بعد تماماً ، وهم ينتظرون دعوات للدين حتى ينضووا تحت لوائها ويسيروا في ركبها ، فإن الحياة المادية لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية وإن انحرفت النفس بعض الوقت تحت تأثير من المؤثرات فلا بد لها من أن تعود إلى الحق وتثوب إلى الرشد وعندما يتهيأ لها الجو ، وتتاح لها الفرصة ، أو عندما يصبح لديها الوقت للتفكر والتأمل والسير على المنهج القويم الذي تمليه عليها طبيعتها ذاتها .

وعلى كلٍ فالله أعلم بالسرائر ، وهو المسير والمقدر لكل ذرة في هذا الكون ، وهو أدرى متى يكون التغيير فإذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون .

	صفحة
المقدمة	٥
معالم وخطوط	٩
عبرة وتاريخ	٢١
تركستان الصينية « الشرقية » :	٢٤
الحياة الاقتصادية	٢٩
الحياة البشرية	٣٢
بيان وتوضيح	٣٨
نهج وسبيل	٤٣
المسلمون في الصين	٥١

كانسو	٥٩
نينغ هسيا	٦٤
يونّان	٦٧
بقية المقاطعات	٨١

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها :

أ ـ في افريقية :

١ ـ غينيا
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ الصومال
٤ ـ موريتانيا
٥ ـ ارتيرية والحبشة
٦ ـ تشاد
٧ ـ تانزانيا
٨ ـ السنغال
٩ ـ اوغنده
١٠ ـ ليبيا
١١ – السودان

ب ـ في آسيا

١ ـ تركستان الغربية
٢ ـ تركستان الشرقية
٣ ـ قفقاسيا
٤ ـ باكستان
٥ ـ اندونيسيا
٦ ـ اتحاد ماليزيا
٧ ـ المسلمون في الفيلبين

تطلب جميع منشوراتنا من :

• الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سورية - بناية صمدي وصالحة
ص.ب ٧٤٦٠ هاتف ٢٩٥٥٠١

الثمن : ٢٠٠ ق. ل.